

# تَهْذِيبُ الشُّفَا

بتعريف حقوق المصطفى

للقاضي عياض بن موسى اليصبى الأندلسى

قام بتهذيبه وترتيبه

نماه الدين سیروان نور الدين قره علي

الجزء الثاني

٢

”هدية شركة النهضة الطبية“

لأصحابها

عبدالله يحيى الجفري ولديه عبدالعزيز ويحيى



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## مقدمة

أخي القارئ :

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ؛

لقد منَّ الله علينا بالانتماء لهذا الدين الخالد .. وشرفنا بالانتساب لهذه الأمة التي بعث الله فيها خاتم النبيين وقائد المرسلين سيدنا محمداً صلى الله عليه وسلم .

وإن مما يجدر بالمؤمن الحصيف .. أن يولي اهتمامه بالاطلاع على شمائل أسوة المؤمنين ، وقدوة المسلمين .. النبي الكريم عليه الصلاة والسلام .. وخاصة في زمن تضاربت فيه الآراء ، واختلت فيه الموازين إذ يجد المسلم في شمائله صلوات الله عليه وسلامه منقداً من الحيرة وسبيلاً إلى الاطمئنان ...

فبادر أخي وافتح صفحات الجزء الثاني من هذا الكتاب النفيس عقب ما اطلعت عليه في الجزء الأول بغية أن تزداد تفتح ذهن .. وإشراق قلب .. وفيض شعور من خلال تذوقك سمو الخلق .. وطهارة القصد ، ونظافة السبيل ..

( وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمٌ فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ) .

وحبذا لو تجعل هذه القراءة مع أهلِكَ وأصفيائك عسى أن تغمرنا بركة هذه الخصال فتنعم بالتحلي بها ، فنكون أتباع صدق لمن وصفه ربُّه الجليل سبحانه وتعالى :

( وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ) .

نسأله سبحانه وتعالى سلامة القصد ونقاء السريرة وهو الهادي إلى سواء الصراط ؟

المحققان

## الباب الثاني

في

تكميل الله تعالى له المحاسن خلقاً وخلقاً

وقرائه جميع الفضائل الدينية

والدنيوية فيه نسقاً





## مقدمة الباب الثاني

اعلم أيها المحب لهذا النبي الكريم ، الباحث عن تفاصيل جَمَل قدره العظيم ، أن خصال الجمال (١) والكمال في البشر نوعان :

— ضروري دنيوى ... اقتضته الجبيلة (٢) وضرورة الحياة الدنيا .

— ومكتسب ديني ... وهو ما يعتمد فاعله ويقرَّب الى الله زلفى (٣) .

ثم هي على فئتين أيضاً :

أ — منها ما يتخلص (٤) لأحد الوصفين .

ب — ومنها ما يتمازج ويتداخل .

فأمّا الضروري المحض : فما ليس للمرء فيه اختيار ، ولا اكتساب ، مثل ما كان في جبيلته من كمال خلقتة ، وجمال صورته ، وقوة عقله ، وصحة فهمه ، وفصاحة لسانه ، وقوة حواسه وأعضائه ، واعتدال حركاته ، وشرف نسبه ، وعزة قومه وكرم أرضه .

(١) وفي نسخة « الجلال » .

(٢) الجبيلة : الغلقة التي خلق عليها .

(٣) زلفى : قرية .

(٤) يتخلص : يتمعض .

ويلحق به : ما تدعوه ضرورة حياته اليه من غذائه ، ونومه ، وملبسه ، ومسكنه ، ومنكحه ، وماله وجاهه .

وقد تلحق هذه الغصال الآخرة (١) بالآخروية ، إذ قصد بها التقوى ، ومعونة البدن على سلوك طريقها ، وكانت على حدود الضرورة ، وقواعد الشريعة .

وأما المكتسبة الآخروية : فسائر الأخلاق العلية والآداب الشرعية من : الدين – والعلم – والعلم – والصبر – والشكر – والعدل – والزهد – والتواضع – والعفو – والعفة – والجود – والشجاعة – والحياء – والمروءة – والصمت – والتؤدة – والوقار – والرحمة – وحسن الأدب والمعاشرة ... وأخواتها ، وهي التي جماعها ( 'حسن الخلق' ) .

المكتسبة :  
ما تقرب الى الله  
وللإنسان فيها  
اختيار

– وقد يكون من هذه الأخلاق ، ما هو في الغريزة (٢) ، وأصل الجبيلة لبعض الناس ؛ وبعضهم لا تكون فيها فيكتسبها ، ولكنه لا بد أن يكون فيه من أصولها في أصل الجبيلة شعبة ... كما سَنَبَيْتُهُ – إن شاء الله تعالى .

لا بد للأخلاق  
المكتسبة من  
أصول

– وتكون هذه الأخلاق دنيوية ، إذا لم يرتد بها وجأ الله ، والدار الآخرة – ولكنها كلها محاسن ، وفضائل ، باتفاق أصحاب العقول السليمة ، وإن اختلفوا في موجب حسنها ، وتفضيلها ...

(١) أي الآخرة المتعلقة بالأمور العادية الواقعة في الأحوال الدنيوية .  
(٢) السجية والطبع .

## الفصل الأول

يعظم الانسان  
بقليل من هذه  
الخصال

قال القاضي : اذا كانت خصال الكمال ،  
والجلال وما ذكرناه - ورأينا الواحد منا  
يشرف بواحدة منها ، أو اثنتين - إن اتفقت  
له في كل عصرٍ وأوانٍ - إِمَّا مِنْ نسب ، أو  
جمال ، أو قوةٍ أو علم ، أو حلم ، أو شجاعة ،  
أو سماحة ، حتى يعظم قدره ، ويُضرب باسمه  
الأمثال ، ويتقرر له بالوصف بذلك في القلوب  
أثره (١) وعظمة ، وهو منذ عصورٍ خوالٍ (٢)  
رمم (٣) بوال (٤) .

- فما ظنك بعظيم قدر من اجتمعت فيه  
كل هذه الخصال ، الى ما لا يأخذه عدٌ ، ولا  
يُعبر عنه مقال ، ولا يُنال بكسب ، ولا  
حيلة ، إلا بتخصيص الكبير المتعال ، من فضيلة  
النبوة ، والرسالة والخلة ، والمحبة ، والاصطفاء ،  
والرؤية والقرب ، والدنو ، والوحي

اجتماع خصال  
الكمال والجلال  
في محمد صلى  
الله عليه وسلم

(١) اثره : مكرمة .

(٢) خوالح خال « وهو الغالي أي : السالف .

(٣) رمم - بكر الرء وقد يضم . ج رمة أو رميم وهي العظام وأجزاء البدن  
البالية .

(٤) بوال : ج بالية وبالٍ . وهي تأكيد لكلمة رمم .

والشفاعة والوسيلة والفضيلة ، والدرجة  
 الرفيعة ، والمقام المحمود ، والبُراق ،  
 والمعراج ، والبعث الى الأحمر والأسود ،  
 والصلاة بالأنبياء ، والشهادة بين الأنبياء ،  
 والأُمم ، وسيادة ولد آدم ، ولواء الحمد -  
 والبشارة ، والنِّذارة ، والمكانة عند ذي  
 العرش ، والطاعة ثم (١) ، والأمانة ،  
 والهداية ، ورحمة للعالمين ، وإعطاء الرضى  
 والسؤال ، والكوثر ، وسماع القول ، وإتمام  
 النعمة ، والعفو عما تقدم وتأخر ، وشرح  
 الصدر ، ووضع الوزر ، ورفع الذكر ،  
 وعزة النصر ، ونزول السكينة ، والتأييد  
 بالملائكة ، وإيتاء الكتاب والحكمة ، والسبع  
 المثاني والقرآن العظيم ، وتركية الأُمة ،  
 والدعاء إلى الله ، وصلاة الله تعالى والملائكة ،  
 والحكم بين الناس بما أراه الله ، ووضع  
 الإصر (٢) والأغلال (٣) عنهم ، والقسم باسمه .  
 وإجابة دعوته ، وتكليم الجمادات والعُجم (٤) .

(١) ثم : بمعنى هناك .

(٢) الإصر : العهد الثقيل والتكليف الوبيل وقيل : المراد به العقوبة من نحو المسخ .

(٣) الأغلال : أي العبادات الشاقة .

(٤) العُجم : هي الحيوانات وقد سميت بذلك لأنها لا تفكر على الكلام .

وإحياء الموتى وإسماع الصم ، ونبع الماء  
من بين أصابعه ، وتكثير القليل ، وانشقاق  
القمر ، وردّ الشمس ، وقلب الأعيان ،  
والنصر بالرعب والاطلاع على الغيب ، وظل  
الفمام ، وتسبيح الحصا ، وإبراء الآلام ،  
والعصمة من الناس ...

لا يعيظ بصفاته  
إلا مانعها

— إلى ما لا يحويه مُحتَفِل (١) ، ولا يعيظ  
بعلمه إلا مانع ذلك . ومفضّله به لا إله  
غيره .

— إلى ما أعدّ له في الدار الآخرة . من  
منازل الكرامة ، ودرجات القدس ، ومراتب  
السعادة والحسنى ، والزيادة التي تقف دونها  
العقول ، ويحار دون إدراكها الوهم (٢) ...

(١) محتفل : أي مهتم ، بمعنى أن من اهتم بجميع هذه الصفات وامثالها لا يمكنه  
الاحاطة بها .  
(٢) الوهم : قوة يدرك بها الجزئيات المحققة وغيرها .

## الفصل الثاني

### صِفاتُه الخَلقية صلى الله عليه وسلم

إن قلت - أكرمك الله - : لا خفاء على القطع بالجملة ، أنه صلى الله عليه وسلم أعلى الناس قدراً ، وأعظمهم محلاً ، وأكملهم محاسن وفضلاً ، وقد ذهبت في تفاصيل ، خصال الكمال مذهباً جميلاً ، شوّقتني إلى أن أقف عليها من أوصافه صلى الله عليه وسلم تفصيلاً .

فاعلم - نور الله قلبي وقلبك ، وضاعف في هذا النبي الكريم حبّي وحبّك - أنك إذا نظرت إلى خصال الكمال ، التي هي غير مكتسبة ، وفي جِبِلَّة الخَلقة ، وجدته صلى الله عليه وسلم حائزاً لجميعها ، محيطاً بشتات حاز جميع خصال الكمال الضروري محاسنها ، دون خلاف بين نَقْلَة الأخبار (١) لذلك : بل قد بلغ بعضها مبلغ القطع .

الصورة وجمالها أما الصورة وجمالها ، وتناسب أعضائه

في حسنها ، فقد جاءت الآثار الصحيحة ،  
والمشهورة الكثيرة ، بذلك من حديث علي  
وأنس بن مالك ، وأبي هريرة ، والبراء بن السـرواء  
عازب ، وعائشة أم المؤمنين ، وابن أبي هالة ،  
وأبي جَعِيْفَةَ ، وجابر بن سَمُرَةَ ، وأُمِّ مَعْبِد  
وابن عباس ومعرّض بن مُعَيَّقِب وأبي  
الطفيل ، والعداء بن خالد ، وخرَيم بن فاتك  
وحكيم بن حزام ، وغيرهم رضي الله عنهم .

من آتته صلى الله عليه وسلم كان :

أزهر (١) اللون ، أَدْعَجَ (٢) ، أنجَلَ (٣) ، صفاته الخلقية  
أَشْكَلَ (٤) ، أَهْدَبَ الأشْفار (٥) ، أبلَجَ (٦) ،  
أَزَجٌ (٧) ، أَقْنَى (٨) ، أَفْلَجَ (٩) ، مَدوَّر  
الوجه (١٠) ، واسعَ الجبين (١١) ، كثَّ اللحية

(١) أزهر اللون : حسنه او ابيض .

(٢) أدعج : شديد سواد العذقة .

(٣) أنجل : واسع شق العين مع حسنها .

(٤) أشكل : في بياض عينه قليل حمرة .

(٥) أهدب الأشفار : كثير شعر حروف أجفان عينيه .

(٦) أبلج : مشرق الوجه .

(٧) أزج : دقيق شعر الحاجبين طويلهما الى مؤخر العين مع تقوس .

(٨) أقنى : مرتفع قصبه الأنف مع احديداً يسر فيها ، والمشهور انه صلى الله عليه  
وسلم كان أشم ، والشمم ارتفاع قصبه الأنف مع استواء أعلاه وقد يجمع بينهما بأن  
ارتفاعها كان يسيراً جداً - من رآه متاملاً عرفه أشم ، ومن لم يتأمله ظنه أقنى .

(٩) أفلاج : متباعد ما بين الثنايا ، وقلته محمودة .

(١٠) ولكن الى الطول اقرب .

(١١) الجبين : هو ما اكتنف الجبهة من يمين وشمال .

تملاً صدره . سَوَاءَ البطنِ والصدرِ ، واسعَ  
 الصدر (١) ، عَظِيمَ المَنَكِبَيْنِ (٢) ، ضَخَمَ العظامِ ،  
 عَبَّسَ (٣) العضُدَيْنِ والذراعَيْنِ والأَسَافِلِ ،  
 رَحَبَ (٤) الكَفَّيْنِ ، والقَدَمَيْنِ ، سَائِلَ (٥)  
 الأَطْرَافِ ، أَنُورَ المتَجَرِّدِ (٦) ، دَقِيقَ المَسْرُوبَةِ (٧) ،  
 رُبْعَةَ (٨) القَدِّ ، لَيْسَ بالطَوِيلِ البَائِنِ (٩) ، وَلَا  
 القَصِيرِ المَتَرَدِّ ، وَمَعَ ذَلِكَ فَلَمْ يَكُنْ يَمَاشِيهِ  
 أَحَدٌ يَنْسَبُ إِلَى الطَّوْلِ إِلَّا طَالَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ  
 وَسَلَّم رَجُلَ (١٠) الشَّعْرِ ، إِذَا افْتَرَّ (١١)  
 ضَاحِكًا افْتَرَّ عَنْ مِثْلِ سَنَا الْبَرْقِ ، وَعَنْ مِثْلِ  
 حَبِّ الْفَمَامِ ، إِذَا تَكَلَّمَ رُئِيَ كَالنُّورِ يَخْرُجُ  
 مِنْ ثَنَائِيهِ ، أَحْسَنَ النَّاسِ عُنْقًا ، لَيْسَ

- (١) حَسَا وَمَعْنَى .
- (٢) المَنَكِبُ : مَجْمُوعُ عَظْمِ العَضِدِ وَالكَتِفِ .
- (٣) العَبَلُ : الضَّخْمُ .
- (٤) الرَّحْبُ الوَاسِعُ . وَهَذَا حَسَا وَمَعْنَى .
- (٥) سَائِلٌ : تَامٌ .
- (٦) مَا تَجَرَّدَ مِنْ بَدَنِهِ أَعْظَمَ إِشْرَاقًا مِنْ غَيْرِهِ .
- (٧) الْمَسْرُوبَةُ : خَيْطُ الشَّعْرِ الَّذِي بَيْنَ الصَّدْرِ وَالسُّرَةِ .
- (٨) الرُّبْعَةُ : الْمَرْبُوعُ .
- (٩) الْبَائِنُ : الْخَفِيطُ .
- (١٠) رَجُلٌ : مَا بَيْنَ الْجَعْدَةِ وَالسُّبُوطَةِ .
- (١١) أَبَدَى اسْتَنَاهُ .

بمُطَهَّم (١) ولا مُكَلَّم (٢) ، متماسك البدن (٣) ،  
ضرب اللحم (٤) .

قال البراء : ما رأيت من ذي لمة (٥) ، في  
حُلَّة حمراء ، أحسن من رسول الله صلى الله  
عليه وسلم .

وقال أبو هريرة رضي الله عنه : ما رأيت  
شيئاً أحسن من رسول الله صلى الله عليه  
وسلم (٦) ؛ كأن الشمس تجري في وجهه ،  
وإذا ضحك يتلألأ في الجُدر (٧) ...

وقال جابر بن سُمرة : وقال له رجل : كان  
وجهه صلى الله عليه وسلم مثل السيف فقال :  
لا بل مثل الشمس والقمر ، وكان  
مستديراً (٨) . وقالت (٩) 'أمّ مَعْبَد في بعض  
ما وصفته به :

(١) المطهم : المنور الوجه ، وقيل : هو السمين الفاحش وقيل : المنتفخ الوجه وقيل :  
النعيف الجسم .  
(٢) ولا مكَلَّم : أي ليس بمجتمع لحم الوجه والمقصود أنه لم يكن وجهه مفرطاً في  
الاستدارة .

(٣) متماسك البدن : ليس برهل مسترخ لحمه .  
(٤) ضرب اللحم : خفيفة ولطيفة لا يابسُه وكثيفه .  
(٥) اللمة : بكسر اللام وتشديد الميم وهي ما طال من شعر الرأس في أحد جانبيه  
وقيل : ما جاوز من شعره شعمة الأذن وسميت بها لالمامها بالنتكبين .  
(٦) كما رواه الشيخان وغيرهما .

(٧) رواه أحمد والترمذي وابن حبان . ومعنى يتلألأ في الجدر : أي أن نور وجهه  
الشريف يشرق اشرافاً يصل الى الجدران المقابلة كما يكون ذلك من الشمس .  
(٨) كما رواه الشيخان وغيرهما .  
(٩) أي من رواية البيهقي في دلائله عن أخيها حبيش بن خالد عنها .

أَجْمَلُ النَّاسِ مِنْ بَعِيدٍ ، وَأَحْلَاهُ وَأَحْسَنَهُ  
مِنْ قَرِيبٍ .

وفي حديث (١) ابن أبي هالة :

يَتَلَأَلُو وَجْهَهُ تَلَأَلُو الْقَمَرِ ، لَيْلَةَ الْبَدْرِ .

وصف علي رضي الله عنه له : وقال (٢) علي في آخر وصفه له :

مَنْ رَأَاهُ بِدِيهَةٍ (٣) هَابَهُ وَمَنْ خَالَطَهُ مَعْرِفَةً  
أَحَبَّهُ .

يقول ناعته : لَمْ أَرَ قَبْلَهُ وَلَا بَعْدَهُ مِثْلَهُ  
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

— والأحاديث في بسط صفته مشهورة  
كثيرة فلا نطول بسردها .

— وقد اختصرنا في وصفه نَكْتَ (٤) ما جاء  
فيها ، وجملة مما فيه الكفاية في القصد إلى  
المطلوب .

— وختمنا هذه الفصول بحديث جامع  
لذلك تقف عليه هناك — إن شاء الله تعالى —

(١) سيأتي الحديث .

(٢) علي ما في جامع الترمذي وشماله .

(٣) بديهة : مفاجأة من غير روية أي أول وهلة .

(٤) النكت : اللطائف والدقائق .

## الفصل الثالث

### نظافته صلى الله عليه وسلم

أما نظافة جسمه ، وطيب ريحه وعرقه ، ونزاهته عن الأقذار ، وعورات الجسد (١) : فكان قد خصّه الله تعالى في ذلك بخصائص لم توجد في غيره ، ثم تمّمها بنظافة الشرع ، وخصال الفطرة العشر (٢) . وقال : « بُني الدّين على النظافة (٣) » .

عن أنس قال : « ما شَمَمْتُ عنبراً قطُّ ، ولا مسكاً ، ولا شيئاً أطيب من ريح رسول

(١) عورات : عيوب .

(٢) لحديث مسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : عشر من الفطرة .. قص الشارب ، وإعفاء اللحية ، والسواك ، واستنشاق الماء ، وقص الأظفار ، وغسل البراجم ، وتنف الأبط ، وحلق العانة ، وانتقاص الماء ... قال مصعب بن شيبة راويه : ونسيت العاشرة إلا أن تكون المضمضة ... وانتقاص الماء يعني الاستنجاء ، وقال المؤلف في شرح مسلم ، ولعل العاشرة الغتان لأنه مذكور في قوله عليه الصلاة والسلام : ( الفطرة خمس ... ) .

(٣) وهذا الحديث وإن قال العراقي في تخريج أحاديث الأحياء لم أجده هكذا بل في الضعفاء لابن حبان من حديث عائشة رضي الله عنها : ( تنظفوا فإن الإسلام نظيف ) . وللطبراني في الأوسط بسند ضعيف من حديث ابن مسعود رضي الله عنه : ( النظافة تدعو إلى الإسلام ) اهـ فقد روى الرافعي في تاريخه بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه بعض حديث مرفوعاً : ( تنظفوا بكل ما استطعتم فإن الله تعالى بنى الإسلام على النظافة . ولن يدخل الجنة إلا كل نظيف ) وينصره حديث الترمذي : ( إن الله نظيف يحب النظافة فنظفوا أنفسكم ) .

الله صلى الله عليه وسلم (١) .

طيب رائحة يده  
صلى الله عليه وسلم  
وعن جابر بن سَمُرَةَ : « أنه صلى الله عليه وسلم مسح خَدَّهُ ، قال : فوجدت لِيَدِهِ برداً وريحاً ، كَأَنَّمَا أَخْرَجَهَا مِنْ جُودَةِ عِطَّارٍ (٢) » .  
قال غيره : مَسَّهَا بطيب أو لم يمَسَّهَا ، يَصَافِح المصافح فيظل يومه يجد ريحها .  
ويضع يده على رأس الصبي فيُعرف من بين الصبيان بريحتها .

— « ونام رسول الله صلى الله عليه وسلم في دار أنس على نِطْعٍ (٣) فغرق ، فجاءت أمه بقارورة تجمع فيها عرقه ، فسألها رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك ، فقالت : نجعله في طيبنا وهو من أَطْيَب الطيب (٤) » .  
كانوا يمزجون طيبهم بعرقه صلى الله عليه وسلم

وذكر البخاري في تاريخه الكبير عن جابر :  
« لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم يمر في طريق فيتبعه أحد إلاَّ عرف أَنَّهُ سلكه ، من طيبه » .

- 
- (١) الحديث في مسلم وفي الشماثل .  
(٢) روى الحديث مسلم وهذا جزء من الحديث .  
(٣) النطع : البساط .  
(٤) أخرج الحديث مسلم . وزاد البخاري عليه ( نرجو بركته لصيانتنا ) .

وذكر إسحق بن راهويّة : أنّ تلك كانت رائحته بلا طيب صلى الله عليه وسلم .

روى المُنْزِي ، والحريبي ، عن جابر رضي الله عنه قال : « أردفني النبي صلى الله عليه وسلم خلفه فالتقمت خاتم النبوة بفمي ، فكان ينم (١) عليّ مسكاً » .

صلى الله عليك  
ياسيني يا رسول  
الله .. طبت حياً  
وميتاً

ومنه (٢) حديث علي رضي الله عنه : « غسّلت النبي صلى الله عليه وسلم ، فذهبت آنظر ما يكون من الميت ، فلم أجد شيئاً فقلت : طبت حياً وميتاً . قال وسطعت (٣) منه ريح طيبة ، لم نجد مثلها قط » .

ومثله قال (٤) أبو بكر رضي الله عنه حين قبّل النبي صلى الله عليه وسلم ، بعد موته .

ذكر من شرب  
دمه صلى الله  
عليه وسلم

— ومنه شرب مالك بن سنان دمه ، يوم أُحُد ومصّه إيّاه ، وتسويغه صلى الله عليه وسلم ذلك له وقوله له : « لن تصيبه النار (٥) » .

- (١) ينم : يفوح .  
(٢) فيما رواه ابن ماجة وأبو داود في مراسيله .  
(٣) أي : ارتفعت وانتشرت .  
(٤) رواه البزار عن ابن عمر بسند صحيح وهو بعض خبر في البخاري .  
(٥) رواه الطبراني في معجمه الأوسط ورواه البيهقي .

ومثله (١) شرب عبد الله بن الزبير دم  
 حجامته ، فقال له عليه السلام : « ويل لك من  
 الناس . وويل لهم منك » ولم ينكر عليه ؛  
 ولم يأمر واحداً منهما بفسل فم ، ولا نهاه عن  
 عود .

---

(١) كما رواه الحاكم والبزار ، والدارقطني والبيهقي والبغوي ، والطبراني  
 ومسنده جيد .

## الفصل الرابع

وُ فُور عقله وفصاحة لسانه وقوة حواسه

صلى الله عليه وسلم

كان صلى الله  
عليه وسلم  
أعقل الناس .

أما وُ فُور عقله ، وذكاء لبه ، وقوة  
حواسه ، وفصاحة لسانه ، واعتدال حركاته ،  
وحسن شمائله ، فلا مرية (١) أنه كان أعقل  
الناس وأذكاهم .

— ومن تأمل تدبيره أمرَ بواطن الخلق ،  
وظواهرهم ، وسياسة العامة والخاصة ، مع  
عجيب شمائله ، وبديع سيره ، فضلاً عما  
أفاضه من العلم ، وقرره من الشرع ، دون  
تعلم سبق ، ولا ممارسة تقدّمت ، ولا  
مطالمة للكتب منه ، لم يمتز في رجحان  
عقله ، وثقوب (٢) فهمه ، لأول بديهة .

— وهذا لا يحتاج إلى تقريره لتحقّق .

وقد قال وهب بن منبّه : قرأت في أحد

(١) مرية : شك .  
(٢) ثقب الفهم : يقال رجل ثاقب الرأي : أي نافذ الرأي ينظر فيه بدقة .

وسبعين كتاباً فوجدت في جميعها ، أن النبي صلى الله عليه وسلم أرجح الناس عقلاً وأفضلهم رأياً .

وفي رواية أخرى : فوجدت في جميعها ، أن الله تعالى لم يُعْطَ جميعَ الناس من بدء عقول الناس كعبه رمل في الدنيا إلى انقضائها ، من العقل في جنب عقله صلى الله عليه وسلم ، إلا كعبه رمل من بين الله عليه وسلم رمال الدنيا .

وقال (١) مجاهد : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إذا قام في الصلاة يرى من خلفه كما يرى من امامه كما يرى من بين يديه .

وبه فسر قوله تعالى : « وَتَقَلَّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ (٢) » .

وفي الموطأ (٣) عنه عليه الصلاة والسلام : « إنني لأراكم من وراء ظهري (٤) » .  
ونحوه عن أنس في الصحيحين (٥) .

(١) أي كما رواه عنه ابن المنذر والبيهقي مرسلًا .

(٢) سورة الشعراء : آية ٢١٩ .

(٣) عن أبي هريرة رضي الله عنه .

(٤) وصدر الحديث ( أترون قبلتكم هذه فواقة لا يغني علي ركوعكم ولا سجودكم ) .

(٥) وهو ما رواه عن أنس مرفوعاً ( أقيموا الركوع والسجود فواقة إنني لأراكم من بعدي ) .. وربما قال : ( من بعد ظهري إذا ركعتم وسجدتم ) .

وعن عائشةَ مثله (١) قالت : « زيادة زاده  
الله إياها في حُجَّتِه » .

وفي بعض الروايات (٢) : « إنِّي لَأَنْظُرُ  
من ورائي كما أَنْظُر من بين يدي » .

وفي أخرى (٣) : « إنِّي لَأَبْصُر من قفائي  
كما أَبْصُر من بين يدي » .

— والأخبار كثيرة صحيحة في رؤيته صلى الله  
عليه وسلم الملائكة (٤) والشياطين (٥) .

رؤيته الملائكة  
والشياطين

رفع النجاشي له  
ورؤيته بيت  
المقدس والكعبة

— وُرفِع النجاشيُّ له حتى صَلَّى عليه (٦) .

— وبيتُ المقدس (٧) حين وصفه لقريش .

(١) مثله لفظاً ومعنى .

(٢) لعبد الرزاق والحاكم .

(٣) وفي رواية أخرى لمسلم .

(٤) كما في رواية البخاري وغيره : « انه رأى جبريل في صورته له ستمئة جناح على

كرسي بين السماء والأرض قد سد الأفق .. » وقد رأى كثراً منهم ليلة الأسراء .

(٥) حديث البخاري : « ان عذريتا ثقلت عليّ البارحة في صلاة المغرب وبيده شعلة

من نار ليعرق بها وجهي ، فامكنني الله منه ففكته ، ثم أردت ان أربطه بسارية من

سواري المسجد ، فذكرت دعوة أخي سليمان - وفي رواية - لولا دعوة أخي سليمان لأصبح

يلعب به ولدان المدينة » .

(٦) رواه الشيخان وغيرهما ، وبه استدل الشافعي وأحمد على جواز الصلاة على

الغائب . وذهب مالك وأبو حنيفة إلى عدم الجواز . وروى ابن حبان في صحيحه من حديث

عمران بن حصين : « انه صلى الله عليه وسلم قال : « ان أخاكم النجاشي توفي فتوموا

وصلوا عليه ، فقام عليه الصلاة والسلام وَصَّوْا خلفه فكبّر أربعا وهم لا يظنون ان

جنازته بين يديه » .

(٧) كما في الصحيحين .

وقد جاءت الأخبار (١) بأنه صرع رُكَّانة ،  
صرع رُكَّانة أشد أهل وقته وكان دعاه الى الاسلام (٢) .  
وقال أبو هريرة (٣) : « ما رأيت أحداً أسرع  
سرعة مشيه من رسول الله صلى الله عليه وسلم في مشيه ،  
كأنما الأرض تُطوى له ، إننا لنجهد أنفسنا ،  
وهو غير مكترث » ، وفي صفته عليه الصلاة  
والتسليم : « أن ضحكَه كان تبسُّماً ، إذا  
مشيه كان تقلعاً التفت التفت معاً ، وإذا مشى مشى تقلعاً (٤) ،  
كأنما ينحط من صَبَب (٥) » .

- 
- (١) كغير أبي داود والترمذي .  
(٢) قال الترمذي : إسناده ليس بالقائم ، وقال البيهقي مرسل جيد . وروي بإسناد  
موصول ، إلا أنه ضعيف .  
(٣) كما رواه الترمذي في شمائله والبيهقي في دلائله .  
(٤) رواه الترمذي في الشمائل . والتقلع : رفع الرجلين رفعاً بائناً بدون اختيال .  
(٥) الصَّبَب : بتشديد الصاد وفتح الباء : ما انحدر من الأرض .

## الفصل الخامس

### فصاحة لسانه وبلاغته صلى الله عليه وسلم

فصاحة لسانه  
وبلاغته صلى الله  
عليه وسلم

وأمّا فصاحة اللسان ، وبلاغة القول ، فقد كان صلى الله عليه وسلم من ذلك بالمحلّ الأفضل ، والموضع الذي لا يُجْهَل ، سلاسةً طبع ، وبراعةً مَنْزَع ، وإيجازاً مقطوع ، ونصاعةً لفظ ، وجزالةً قول . وصحّةً معانٍ وقلةً تكلف .

يغاطب كل أمة  
بلسانها

— أوتيت جوامع الكلم ، وخُصِرَ ببدايع الحكم ، وعُلِّمَ آلِ سِنَةِ العرب ، فكان يَخَاطَبُ كُلَّ أُمَّةٍ مِنْهَا بِلِسَانِهَا ، ويحاورها بلفتها ، ويباريها في مَنْزَعِ بلاغتها ، حتى كان كثير من أصحابه يسألونه في غير موطن عن شرح كلامه ، وتفسير قوله .

— من تأمل حديثه ، وسيره ، علم ذلك وتحقّقه .

— وليس كلامه مع قريش والأَنْصار ،

كلامه مع في المشعار الهمداني وغيره من امرء حضرموت وأهل الحجاز ، ونجد ، ككلامه مع « ذي المشعار الهمداني » و « طهفة النهدي » و « قطن بن حارثة العليّمي » و « الأشعث بن قيس » و « وائل بن حجر الكندي » وغيرهم . من أقيال (١) حضرموت وملوك اليمن .

وانظر كتابه إلى همدان : ( إن لكم كتابه الـ فِرَاعَهَا (٢) وَوِهَاطُهَا (٣) وَعَزَاذَهَا (٤) تَأْكُلُونَ عِلَافَهَا (٥) ، وَتَرَعُونَ عَفَاءَهَا (٦) ، لَنَا مِنْ دِفْئِهِمْ (٧) ، وَصِرَامِهِمْ (٨) مَا سَلَّمُوا (٩) بِالْمِثَاقِ (١٠) وَالْأَمَانَةِ ، وَلَهُمْ مِنَ الصَّدَقَةِ الثَّلَبِ (١١) وَالنَّابِ (١٢) ، وَالْفَصِيلِ (١٣) ، وَالْفَارِضِ (١٤) ، وَالْدَاجِنِ (١٥) ، وَالْكَبْشِ

- (١) الأقيال : الأمراء .. جمع قيل بفتح فسكون .
- (٢) فِرَاعَهَا : بكسر الفاء . ما ارتفع من الأرض جمع فرعة بفتح فسكون .
- (٣) وَوِهَاطُهَا : بكسر الواو . الأرض المطمئنة . جمع وطة بفتح فسكون وهي الوهبة .
- (٤) عَزَاذَهَا : ما خشن وصلب منها بفتح مهمل فزاءين .
- (٥) عِلَافَهَا : ما تأكله الماشية . بكسر العين جمع علف كجبل وجبال .
- (٦) عَفَاءَهَا : ما ليس لأحد فيه ملك . بفتح العين وروي بكسرهما .
- (٧) الدِّفْءُ : نتاج الإبل والبانها ( ومنه قوله تعالى : « لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ » أي ما تستدفنون به من أصوافها ) والأظهر هنا أنه كناية عن الأمان .
- (٨) صِرَامِهِمْ : نخيلهم أو ثمرهم جمع صيرمة بكسر الصاد وهي القطعة من النخل .
- (٩) سَلَّمُوا : استسلموا .
- (١٠) الْمِثَاقُ : الإسلام . أو العهد .
- (١١) الثَّلَبُ : بكسر المثناة . الهرم من الإبل الذي سقطت أسنانه وتناثر هلبذنبه .
- (١٢) النَّابُ : أنثى الإبل التي طال نابها . وذلك من أمارات هرمها .
- (١٣) الْفَصِيلُ : ولد الإبل الذي فصل عن أمه وهلم .
- (١٤) الْفَارِضُ : المسن من الإبل أو البقر .
- (١٥) الدَّاجِنُ : ما يالف البيوت ولا يذهب إلى المرعى .

الحواري (١) ، وعليهم فيها الصالح (٢)  
والقارح (٣) ...

وقوله لنهد (٤) : « اللّهُمَّ بَارِكْ لَهُمْ فِي  
مَحْضِهَا (٥) ، وَمَحْضِهَا (٦) ، وَمَذْقِهَا (٧) ،  
وَابْعَثْ رَاعِيَهَا فِي الدَّثْرِ (٨) ، وَاغْزِرْ لَهُ  
الثَّمَدَ (٩) وَبَارِكْ لَهُمْ فِي الْمَالِ وَالْوَلَدِ .

من أقام الصلاة كان مسلماً ، ومن أتى  
الزكاة كان محسناً ، ومن شهد أن لا إله إلا الله  
كان مخلصاً .

لكم يا بني نهد ودائع (١٠) الشريك ،  
ووضائع (١١) الملك ، لا تَلَطِّطْ (١٢) في الزكاة ،

(١) الكباش الحواري : الذي يتغذ من جلده نطع ، وروي الذي جلده احمر وقيل  
ابيض .

(٢) الصالح : ما دخل في السنة السادسة من البقر والغنم والمراد هنا انه اذا وجد  
عندهم هذا النوع يؤخذ منه ما ليس هراماً ولا مبيعاً .

(٣) القارح : ما دخل من الغنم في السنة الخامسة .

(٤) نهد : قبيلة باليمن أرسلت وفداً الى رسول الله صلى الله عليه وسلم برئاسة  
طهفة النهدي الذي سبق ذكره .

(٥) محضها : لبنها الذي لم يخالطه ماء .

(٦) مغضها . ما مغض من لبنها وأخذ زبد .

(٧) مذاقها : ما خلط من لبنها بالماء .

(٨) الدثر : المال الكثير .

(٩) الثمد : المال القليل .

(١٠) ودايع : جمع وديع أي العهد والميثاق .

(١١) وضائع : الوظائف . جمع وظيفة وهي التي تلزم المسلمين في أملاكهم من صدقة  
وزكاة .

(١٢) تلطط : تمنع . والكلام هنا مستأنف لم يرد به واحد معين .

ولا تلحد (١) في الحياة ، ولا تتناقل عن الصلاة  
 وكتب لهم : في الوظيفة الفريضة (٢)  
 ولكم الفارض والفريش (٣) ، وذ العنان (٤)  
 الركوب ، والفَلَوُ (٥) الضبيس (٦) ، لا يُمنِ  
 سرحكم (٧) ، ولا يُعضد (٨) طلحكم (٩) ، ولا  
 يُحبس دركم (١٠) ، مالم تُضمرُوا الرِّماق (١١)  
 وتأكلوا الرِّباق (١٢) .

ومن أقرَّ فلهُ الوفاء بالمهد ، والذمة .  
 ومن أبى فعليه الرِّبوة (١٣) .

كتابه لوائل ابن حجر  
 ومن كتابه لوائل بن حُجر : « إلى الأقيال

- (١) تلحد : تميل .
- (٢) الفريضة : هنا المفروضة . أي عليكم في الوظيفة وهي كل نصاب ما فرض فيه .
- (٣) الفريش : العديثة العصر بالنتاج ...
- (٤) ذو العنان : أي الفرس . الركوب : بفتح الراء المهملة أي الذلول الذي يلجم ويركب بلا مشقة لتكرر وكوبه .
- (٥) الفَلَوُ : ولد الفرس ، وهو بفتح الفاء وضم اللام وتشديد الواو .
- (٦) الضبيس : الصمب والعسر الأخلاق .
- (٧) سرحكم : ماشيتكم التي تروح ...
- (٨) تعضد : يقطع .
- (٩) الطلح : شجر كبير من أشجار الشوك حسن اللون والريح .
- (١٠) دركم : الماشية التي تذهب للرعي وتدر لبنًا أي لا تمنع من الرعي .
- (١١) الرِّماق : النفاق . بكسر الراء المهملة .
- (١٢) الرِّباق : في الأصل عروة العجل ، يربط بها ما خيف ضياعه . وهنا استعارها لنقض العهد - بالكسر جمع ريقة .
- (١٣) الربوة : الزيادة في الفريضة عقوبة له . وهذا الحديث رواه أبو نعيم في مسرعة الصحابة . والدليمي في مسند الفردوس . وهناك رواية توضح المعنى المراد ( ومن أقر بالجزية فعليه الربوة ) أي من امتنع من الزكاة كان عليه من الجزية أكثر مما يجب عليه من الزكاة .

لعباهلة (١) ، والآرواع (٢) المشاييب (٣) .

وفيه : في التَّيعة (٤) شاة ، لا مَقُورَة (٥)  
لآلياط (٦) ولا ضِنَاك (٧) ، وأنطوا (٨)  
لشَبِجَة (٩) .

وفي السَّيُوب (١٠) الخُمس . ومن زنى  
م (١١) بِكِر فاصقعه (١٢) مائة  
استوفضوه (١٣) عاماً ، ومن زنى مِ ثيَّب  
ضرَّجُوهُ (١٤) بالأضاميم (١٥) ولا توصيم (١٦)  
ي الدين ، ولا غُمَّة (١٧) في فرائض الله ، وكل

- (١) العباهلة : ملوك اليمن الذين افروا على ملكهم فلم يزلوا عنه .
- (٢) الارواع : حسان الوجوه . جمع رائع كالانصار والاشهاد جمع ناصر وشاهد .
- (٣) المشاييب : جمع مشيوب أي الرؤوس السادة .
- (٤) التيعة : الأربعين من الغنم . بكسر التاء المثناة .
- (٥) مقورة : الاقوار الاسترخاء في الجلد .
- (٦) الالياط : الجلود من لاط أي لصق والاصل وهو قشر الشجرة . جمع ليط
- (٧) ضناك وهو قشر العود والمقصود « مسترخية الجلد لهزالها » .
- (٨) انطوا : مملنة اللحم مكثرة الشحم .
- (٩) الشبجة : الشاة الوسطى .
- (١٠) السيوب : جمع سيب وهو الركاز بمعنى مركز وهو المال المدفون الجاهلي .
- (١١) م : من بابدال النون ميما .
- (١٢) اصقعه ، اضربوه .
- (١٣) استوفضوه : أنقوه .
- (١٤) ضرجهوه : لطفوه بدمائه أي بواسطة الرجم .
- (١٥) الأضاميم : جمع اضمامة أي العجارة .
- (١٦) توصيم : من الوصم بالصاد المهملة وهو العيب أي لا عيب ولا عار في القامة
- (١٧) غمة : لا تردد ولا حيرة وفي رواية (كمة) أي ستر وغطاء .

مسكر حرام ووائل بن حجر يترَفَّل (١) عل  
الآقيال ...

أين من كتابه (٢) لَأَنَسَ في الصدقة المشهور  
لَمَّا كَانَ كلام هؤلاء على هذا الحد ، وبلاغتها  
على هذا النمط ، وأكثر استعمالهم هذا  
الألفاظ ، استعمالها معهم ، لِيُبَيِّنَ للناس  
ما نُزِّلَ إليهم ، وليحدث الناس بم  
يعلمون ...

حديث عطية السعدي  
وكقوله في حديث (٣) عطية السعدي :  
« فَإِنَّ الْيَدَ الْعُلْيَا هِيَ الْمُنْطِيَّةُ ، وَالْيَدُ  
السُّفْلَى هِيَ الْمُنْطَاةُ » .

قال : فَكَلَّمَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ  
وَسَلَّمَ بَلَفْتَنَا .

حديث العامري وقوله (٤) في حديث العامري (٥) : حين

(١) يترَفَّل : يترأس . وكتابه هذا أخرجه الطبراني في الصغير والخطابي في الغريب  
(٢) كما رواه البخاري والترمذي والدارقطني وختمه ولم يدفعه له فدفعه أبو بكر  
بعد وفاته صلى الله عليه وسلم له حين وجهه إلى البحرين وأمره أن يعمل به . وأول الكتاب  
( بسم الله الرحمن الرحيم هذه فريضة الصدقة التي فرض رسول الله صلى الله عليه وسلم  
على المسلمين والتي أمر الله بها رسوله فمن سنَّيلها من المسلمين على وجهها فليمنعها  
ومن سنَّيل فوقها فلا يمنع في أربع وعشرين من الأجل فما دونها من الفمن من كل خمس  
شاة" إذا بلغت خمسا وعشرين إلى خمس وثلاثين ففيها بنت مغاض ... الخ ) .

(٣) رواه الحاكم وصححه البيهقي .

(٤) على ما ذكره أبو نعيم في دلائله .

(٥) نسبة لقبيلة بني عامر ، وفدوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم . والعامري  
ههنا اسمه عطية ، وقيل: لقيط بن عامر بن المنتفق ، توفي في حدود الثمانين .

سأله ، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم :  
« سَلْ عَنْكَ » أي سَلْ عَمَّا شئت . وهي لغة  
بني عامر .

— وأما كلامه المعتاد ، وفصاحته المملوءة ،  
وجوامع كَلِمِهِ ، وحِكْمُهُ الماثورة ، فقد أَلَفَ  
لناس فيها الدواوين ، وجمعت في ألفاظها ،  
ومعانيها الكتب ، ومنها ما لا يُوازى فصاحة ،  
ولا يُبارى بلاغة .

كقوله (١) : « المسلمون تتكافؤ دماؤهم ،  
ويسمى بذمتهم أدناهم ، وهم يد على من  
سواهم » .

وقوله (٢) : « الناس كأسنان المشط » .

— « المرءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ » (٣) .

— « لا خير في صعبة من لا يرى لك ما ترى

» (٤) .

(١) علي ما رواه أبو داود والنسائي .

(٢) فيما رواه ابن لال في مكارم الأخلاق .

(٣) رواه الشيخان .

(٤) فيما رواه ابن عتي في كامله بسند ضعيف .. وأوله : « المرء على دين خليله  
لا خير ... » .

- « الناس معادن (١) » — « ما هلك امرأ  
عَرَفَ قَدْرَهُ (٢) » .
- « المستشار مؤتمن وهو بالخيار ما لا  
يتكلم (٣) » .
- « رحم الله عبداً قال خيراً ففهم ، أو  
سكت فسلم (٤) » .
- وقوله : « أسلم تسلم .. وأسلم يؤتك  
الله أجرَك مرتين (٥) » .
- « إنَّ أَحَبَّكُمْ إِلَيَّ وَأَقْرَبُكُمْ مِنِّي  
مَجَالِسُ يَوْمِ الْقِيَامَةِ أَحَاسُنُكُمْ أَخْلَاقاً  
الْمَوْطُؤُونَ أَكْنَافاً ، الَّذِينَ يَأْلِفُونَ وَيُؤْلَفُونَ (٦) »
- وقوله : « لعله كان يتكلم بما لا يعنى  
ويبخل بما لا يفنيه (٧) » .

- (١) فيما رواه الشيخان وبقية : « ... كمعادن الذهب والفضة ، خيارهم في الجاهلية  
خيارهم في الاسلام اذا فهموا ... » .
- (٢) رواه السمعاني في تاريخه بسند فيه مجهول .
- (٣) الحديث رواه الأربعة والحاكم والترمذي أيضاً في الشمائل في لضية أبي الهيثم  
وفي بعض الروايات زيد فيه « وهو بالخيار ما لم يتكلم » وفي رواية أحمد « وهو بالغيا ،  
ان شاء تكلم وان شاء سكت ، فان تكلم فليجتهد رايه » .
- (٤) رواه أبو الشيخ في الثواب ... والديلمي .
- (٥) قوله : « أسلم تسلم » متفق عليه بين الشيخين ، وبقية الحديث عند مسلم  
وللبخاري في الجهاد ... « أسلم تسلم يؤتك الله أجرَك مرتين » .
- (٦) رواه الترمذي .
- (٧) رواه البيهقي في شعبه ، وأخرج نحوه من هذا الترمذي ذلك أن رجلاً من الصحابة  
استشهد بأحد فقالت له أمه لَتَهْنِكَ الشَّهَادَةُ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَهَا  
( ما يدريك ... )

وقوله : « ذو الوجهين لا يكون عند الله جيباً (١) » .

ونهي (٢) عن « قيلَ وقال ، وكثرة السؤال ، إضاعة المال ، ومنع وهات ، وعقوق الأمهات وأد البنات .. »

وقوله : « اتق الله حيثما كنت ، وأتبع لسيرة الحسنة تمحها ، وخالق الناس بخلق حسن (٣) .. »

— « خير الأمور أوساطها (٤) » .

وقوله (٥) : « أحب حبيبك هوناً ما ، عسى أن يكون بغيضك يوماً ما » .

وقوله (٦) : « الظلم ظلمات يوم القيامة » .

وقوله (٧) في بعض دعائه (٨) : « اللَّهُمَّ إِنِّي سَأَلْتُكَ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِكَ ، تَهْدِي بِهَا قَلْبِي ،

بعض دعائه  
صلى الله عليه  
وسلم

- 
- (١) رواه الشيخان ، وأخرج أبو داود : « ذو الوجهين في الدنيا ذو لسانين في النار » .  
 (٢) فيما رواه الشيخان .  
 (٣) رواه أحمد والترمذي والحاكم والبيهقي عن أبي ذر رضي الله عنه .  
 (٤) رواه ابن السمعاني في تاريخه .  
 (٥) فيما رواه الترمذي والبيهقي عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه ، والبخاري في الأدب المفرد .  
 (٦) رواه الشيخان .  
 (٧) فيما رواه الترمذي وغيره عن ابن عباس رضي الله عنهما .  
 (٨) لما فرغ من صلاة الجمعة .

وتجمع بها أمري ، وتلم بها شَعْنِي (١)  
 وتصلح بها غَائِبِي (٢) ، وترفع بها شاهدي (٣)  
 وتزكي بها عملي ، وتلهمني بها رشدي  
 وترد بها أَلْفَتِي ، وتعصمني بها من كل سوء  
 اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْفَوْزَ عِنْدَ الْقَضَاءِ  
 وَنُزُلَ الشَّهْدَاءِ ، وَعَيْشَ السَّعْدَاءِ  
 وَالنَّصْرَ عَلَى الْأَعْدَاءِ ... »

الى ما روته الكافّة (٤) عن الكافّة ، مر  
 مقاماته ، ومحاضراته . وخطبه ، وأدعيته  
 ومخاطباته وعهوده ، مما لا خلاف أنّه نزا  
 من ذلك مرتبة لا يقاس بها غيره ، وحاز فيها  
 سبقاً لا يُقَدَّر قَدْرُهُ ؛ وقد جُمِعَت مر  
 كلماته ، التي لم يسبق إليها ، ولا قدر أح  
 أنّ يفرغ في قائله عليها .

اساليب جديدة كقوله (٥) : « حَمِيّ الوطيس » .

(١) أي تلم برحمتك وتجمع ما تشعث وتفرق من أمري . قال الجوهري : الشعث انتشار الأمر يقال : لم الله شعثك أي جمع أمرك .

(٢) أي باطني .

(٣) أي ظاهري .

(٤) أي فيما رواه كثير من الناس لا يعصون . فكافة بمعنى جميعاً . وأريد بها الكثير إذ لم يروه جميع الناس . ولا جميع المحدثين لكنه لما شاع وذاع . فكانه كذلك .

(٥) أي : يوم حنين على ما رواه مسلم والبيهقي : وقد فسر الوطيس بضراب العرا وأراد المعنى المجازي والوطيس في الأصل التتور شبه به العرب لاشتغال نارها وشايقانها .

« مات حتفَ آنفه (١) » .

« لا يُلدغ المؤمن من جحر مرتين (٢) » .

« السعيد من 'وعِظَ بغيره (٣) ' » .

وفي أخواتها ما يدرك الناظر العجب في  
ضمونها ، ويذهب به الفكر في أداني  
حكيمها .

وقد قال له أصحابه (٤) : ما رأينا الذي

هو أفصح منك ...

فقال : « وما يمنعني ؟!! وإِنَّمَا أُنزِلَ سر فصاحتـه

لقرآن بلساني ، لسانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ » .

وقال مرة أخرى (٥) : « أَنَا أَفْصَحُ الْعَرَبِ ،

(١) رواه البيهقي في شعب الإيمان ، ولفظه : « من مات حتفَ آنفه فقد وقع أجره على الله ، والمعنى : هو الذي مات من غير ضرب ولا قتل ولا حرق ولا غرق ، والحتف هو الهلاك ، قيل : كانت العرب تتوهم أن روح المريض تخرج من أنفه ، وروح المجروح من جراحته ، كلمهم النبي صلى الله عليه وسلم على قدر عقولهم ، وقال عبد الله بن عتيك : فوالله ما سمعت قوله : « حتفَ آنفه » من أحد من العرب قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم على هذا علها المصنف - رحمه الله - من كلامه الذي ابتدعه ، وهو المشهور .

(٢) كما رواه البخاري وغيره .

(٣) رواه الديلمي .

(٤) كما رواه البيهقي في شعب الإيمان .

(٥) كما رواه أصحاب الغرائب ، ولا يعرف له سند ، وروى الطبراني « أنا أعرب العرب ولدت في فريش ، ونشأت في بني سعد ، فإني يأتيني اللحن ؟! » .

بَيْدَ أَنِّي مِنْ قَرِيْشٍ وَنَشَأْتُ فِي بَنِي سَعْدٍ .

جمع في كلامه  
جزالة البادية  
ورونق الحاضرة

فَجُمِعَ لَهُ بِذَلِكَ ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قُوَّةُ  
عَارِضَةٍ (١) الْبَادِيَةِ وَجَزَالَتُهَا (٢) ،  
وَنَصَاعَةٍ (٣) الْفَاضِطِ الْحَاضِرَةِ وَرَوْنَقٍ (٤) ،  
كَلَامُهَا ، إِلَى التَّأْيِيدِ الْإِلَهِيِّ الَّذِي مَدَدَ  
أَمْدَادَ الْوَحْيِ لَهُ الْوَحْيِ الَّذِي لَا يُحِيطُ بِعِلْمِهِ بِشَرِيٍّ (٥) .

وَقَالَتْ أُمُّ مُعَبِّدٍ فِي وَصْفِهَا لَهُ :

وصف أمُّ معبد  
لنطقه

« حَلَوُ الْمُنْطَقِ ، فَصْلُ (٦) ، لَا نَزْرُ (٧) ، وَلَا  
هَذْرُ (٨) كَأَنَّ مَنْطِقَهُ خَرَزَاتُ (٩) نُظْمُنْ  
وَكَانَ جَهْرُ الصَّوْتِ (١٠) ، حَسَنَ النِّعْمَةِ صَلَّى  
اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

(١) عارضة : حلوة .

(٢) الجزالة : ضد الركاقة .

(٣) نصاعة : خلوص الفاظها من الغلط .

(٤) الرونق : الحسن .

(٥) بشري : أي منسوب للبشر .

(٦) فصل : مفصول مبین .

(٧) نزر : يسير .

(٨) هذر : كثير .

(٩) الخرز : ما ينظم من الجواهر .

(١٠) وكانت العرب تمتدح يعلو الصوت وتذم بضده . ولذا تمدحوا بسعة الفم وذمو  
بصفرة والجهير : العالي الصوت فليس فيه خفاء ولا يتكسر ككلام النساء .

## الفصل السادس

شرف نسبه وكرم بلده ومنشئه

صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

وَأَمَّا شَرَفُ نَسَبِهِ ، وَكَرَمُ بَلَدِهِ ، وَمَنْشَأُهُ  
فَمَا لَا يَحْتَاجُ إِلَى إِقَامَةِ دَلِيلٍ عَلَيْهِ ، وَلَا بَيَانٍ  
مَشْكَلٍ ، وَلَا خَفِيٍّ مِنْهُ .

فَإِنَّهُ نُسْبَةٌ بَنِي هَاشِمٍ ، وَسُلَالَةٌ قُرَيْشٍ  
وَصَمِيمُهَا ، وَأَشْرَفُ الْعَرَبِ وَأَعَزُّهُمْ نَفَرًا مِنْ  
قَبْلِ أَبِيهِ وَأُمِّهِ ، وَمِنْ أَهْلِ مَكَّةَ ، مِنْ أَكْرَمِ  
بِلَادِ اللَّهِ عَلَى اللَّهِ ، وَعَلَى عِبَادِهِ .

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، أَنَّ رَسُولَ  
اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « بُعِثْتُ مِنْ  
خَيْرِ قُرُونِ بَنِي آدَمَ قُرْنًا فَقْرَنًا ، حَتَّى كُنْتُ فِي  
الْقُرْنِ الَّذِي كُنْتُ مِنْهُ (١) » .

وَعَنْ الْعَبَّاسِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ النَّبِيُّ

(١) حَدِيثٌ صَحِيحٌ أَنْفَرَدَ الْبُخَارِيُّ بِإِخْرَاجِهِ .

صلى الله عليه وسلم (١) : « إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ الْخَلْقَ  
فَجَعَلَنِي مِنْ خَيْرِهِمْ وَمِنْ خَيْرِ قَرْنِهِمْ ، ثُمَّ تَخَيَّرَ  
الْقَبَائِلَ ، فَجَعَلَنِي مِنْ خَيْرِ قَبِيلَةٍ . ثُمَّ تَخَيَّرَ  
الْبُيُوتَ ، فَجَعَلَنِي مِنْ خَيْرِ بُيُوتِهِمْ . فَأَنَا خَيْرُهُمْ  
نفساً وخيرهم بيتاً .  
نفساً ، وخيرهم بيتاً » .

وعن واثلة بن الأسقع رضي الله عنه ،  
قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :  
« إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى مِنْ وَلَدِ إِبْرَاهِيمَ إِسْمَاعِيلَ ،  
وَاصْطَفَى مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ بَنِي كِنَانَةَ ،  
وَاصْطَفَى مِنْ بَنِي كِنَانَةَ قُرَيْشًا ، وَاصْطَفَى  
مِنْ قُرَيْشٍ بَنِي هَاشِمٍ ، وَاصْطَفَانِي مِنْ بَنِي  
هَاشِمٍ » .

قال الترمذي : وهذا حديث صحيح (٢) .

(١) كما رواه البيهقي في دلائل النبوة . والترمذي وحشته .  
(٢) ولد أخرجه مسلم في صحيحه .

## الفصل السابع

### حالته صلى الله عليه وسلم في الضروريات

وأما ما تدعوه ضرورة الحياة إليه ، مِمَّا  
فصَّلناه فعلى ثلاثة أضرب :

— ضرب " الفضل " في قلته .

— وضرب " الفضل " في كثرته .

— وضرب " تختلف الأحوال " فيه .

أ — فأما ما التمدح والكمال بقلته ، اتفاقاً ،  
وعلى كل حال ، عادة وشريعة ، كالغذاء ،  
والنوم ...

ولم تَزَلِ العَرَبُ والحكماءُ تتمادح  
بِقِلَّتَيْهِمَا ، وتذم بكثرتيهما لأن كثرة الأكل  
والشرب دليل " على النهم والحِرص .  
والشَّرة ، وغَلَبَةُ الشَّهْوَةِ مسبِّبٌ لمضارِّ  
الدنيا والآخرة ، جالبٌ " لأدواءِ الجَسَدِ ،

كثرة الأكل  
دليل على  
النهم والحِرص

قلت دليل على وخْثارة (١) النفس ، وامتلاءِ الدماغ .  
القناعة

وقيلَتْه ، دليلٌ على القناعة وملكِ النفس .

وقمع الشهوةِ مُسبَّبٌ للصحة ، وصفاء

كثرة النوم دليل على كثرة النوم .  
دليل على الفسولة (٢) والضعف ، وعدم

الذكاء والفطنةِ مُسبَّبٌ للكسل ، وعادة

العجز ، وتضييعِ العُمُر في غير نفع وقساوة

القلب ، وغفلته وموته .

والشاهدُ على هذا : ما يُعَلِّمُ ضرورةً ،

الشاهد على هذا ويوجدُ مشاهدةً ، ويُنْقَلُ متواتراً . من

كلامِ الأئمِّ المتقدمة ، والحكماء السالفين .

وأشعارِ العربِ وأخبارها وصحيح الحديث .

وآثار من سلفٍ وخلفٍ مِمَّا لا يَحْتَاجُ إلى

الاستشهاد عليه ، وإنَّما تركنا ذكره هنا .

اختصاراً واقتصاراً على اشتهار العلم به .

وكان النبي صلى الله عليه وسلم قد أخذَ

من هذين الفنين بالأقل منهما ... هذا ما لا يُدْفَعُ

من سيرته ، وهو الذي أَمَرَ به ، وحضَّرَ

عليه . لا سيَّما بارتباط أحدهما بالآخر .

(١) خثارة النفس : ثقلها وعدم نشاطها .  
(٢) الفسولة : كل مسترذل رديء وكسل النفس .

عن المقدم بن معدي كَرَب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : البطن شر وعاء ينملا  
 أَنَّ (١) رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ :  
 « مَا مَلَأَ ابْنُ آدَمَ وَعَاءَ شَرًّا مِنْ بَطْنِهِ ،  
 حَسْبُ ابْنِ آدَمَ ' أَكْلَاتُ (٢) يُقِمْنَ صُلْبَهُ ،  
 فَإِنْ كَانَ لَا مَحَالَةَ ، فَثَلُثْ » لَطْعَامِهِ ، وَثَلُثْ  
 لَشْرَابِهِ وَثَلُثْ » لِنَفْسِهِ .

وَلَاَنْ كَثْرَةَ النَّوْمِ مِنْ كَثْرَةِ الْأَكْلِ وَالشَّرْبِ .  
 قَالَ سَفِيَانُ الثَّوْرِي : بِقِلَّةِ الطَّعَامِ يَمْلِكُ سَهْرُ  
 اللَّيْلِ .  
كثرة النوم من  
كثرة الطعام  
والشراب

وَقَالَ بَعْضُ السَّلَفِ : لَا تَأْكُلُوا كَثِيرًا ،  
 فَتَشْرَبُوا كَثِيرًا فَتَرْقُدُوا كَثِيرًا ،  
 فَتَخْسَرُوا كَثِيرًا .  
من نام كثيرا  
خسر كثيرا

وَقَدْ رَوَى (٣) عَنْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ :  
 « كَانَ أَحَبَّ الطَّعَامِ إِلَيْهِ مَا كَانَ عَلَى ضَقْفٍ »  
 أَي كَثْرَةِ الْأَيْدِي .

وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا : لَمْ (٤)

(١) رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَالتَّسَانِيُّ وَابْنُ حِبَّانَ ، وَآخَرَجَهُ الْمُصَنِّفُ - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى - عَنْ  
 الطَّبْرَانِيِّ ، وَلَمْ يَرَوْهُ عَنِ التِّرْمِذِيِّ لِأَنَّهُ سَنَدُهُ لِمُعْجَمِ الطَّبْرَانِيِّ أَعْمَلُ مِنْ غَيْرِهِ ، وَالْعَدِيثُ  
 صَحِيحٌ .

(٢) أَكْلَاتُ : بَضْمَتَيْنِ وَقَدْ تَفَتَّحَ الْكَافُ وَتَسَكَّنَ جَمْعُ أَكَلَةٍ بِضَمِّ الْهَمْزَةِ وَسُكُونِ الْكَافِ  
 اسْمٌ لِمَا يُؤْكَلُ .

(٣) وَرَوَاهُ جَمْعُ كَاتِبِي يَطْلُ وَغَيْرِهِ عَنْ أَنَسٍ وَجَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا بِسَنَدٍ جَيِّدٍ .

(٤) قَالَ الدِّيلَمِيُّ : لَمْ أَعْرِفْ مَنْ رَوَاهُ . وَيُوجَدُ شَبِيهَةٌ فِي الْجُمْلَةِ فِي حَدِيثِ مُسْلِمٍ .

لا يسأل الطعام يمتليء جوف' النبي صلى الله عليه وسلم شبعاً قَطُّ ، وإنَّه كان في أهله لا يسألهم طعاماً ولا يتشبهوا' إن أطعموه' أكل ، وما أطعموه قَبِلَ ، وما سقوه' شرب ..

اعتراض بعديث بريرة - ولا يُعْتَرَضُ على هذا بعديث بريرة وقوله (١) :

« أَلَمْ أَرَ الْبُرْمَةَ (٢) فِيهَا لَحْمٌ » .

الجواب عنه - إذ لعلَّ سببَ سؤاله ظنُّه صلى الله عليه وسلم اعتقادهم أنَّه لا يحِلُّ له' ، فأراد بيان سنَّته ، إذ رآهم لم يقدِّموا إليه مع علمه أنَّهم لا يستأثرون عليه به ، فصَدَّقَ عليهم ظنُّه وبيَّنَ لهم ما جهلوه من أمره بقوله : « هو لها صدقة ، ولنا هدية » .

وفي حكمة لقمان عليه السلام : يا بُنَيَّ إذا امتلأت المعدة نامت الفكرة ، وخرست الحكمة ، وقعدت الأعضاء عن العبادة .

(١) فيما رواه الشيخان ( دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على أهل بيته والبرمة تفور باللحم فترَّبوا له خبزاً وإداماً من إدام البيت فقال : أَلَمْ أَرَ الْبُرْمَةَ فِيهَا لَحْمٌ فَقَالُوا بلى يارسول الله ولكن هو لحم تصدَّق به على بريرة وانت لا تأكل الصدقة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : هو لها صدقة ولنا هدية ) .  
(٢) البرمة : القدر .

وقال سَحْنُون : لا يصلح العلم لمن يأكل حتى يشبع .

وفي صحيح الحديث (١) قوله صلى الله عليه وسلم : « أمّا أنا فلا أكل متكئاً » .

« والاتكاء » : هو التمكن للأكل ،  
 الاتكاء هو التمكن للأكل  
 والتقعد (٢) في الجلوس له كالمتربع ، وشبهه  
 من تمكّن الجلسات . التي يعتمد فيها الجالس  
 على ما تحته ... والجالس على هذه الهيئة  
 يستدعي الأكل ويستكثر منه .

— والنبي صلى الله عليه وسلم إنّا كان  
 جلوسه للأكل جلوس المستوفز مقعياً (٣)  
 ويقول (٤) : « إنّا أنا عبد ، أكل كما يأكل  
 العبد ، وأجلس كما يجلس العبد » .  
 وليس معنى الحديث في الاتكاء الميل على  
 شق عند المحققين .

(١) كما رواه البخاري .

(٢) والتقعد : تفعلل من القعود ومعناه التثبث والتمكن من القعود .

(٣) الاقعاء : الصاق الاليتين بالأرض ونصب الساقين والفخذين والصافهما بالصدر

حديث « أنه كان يأكل مقعياً » أخرجه مسلم .

(٤) كما رواه البراء عن ابن عمر بسند ضعيف ، وأبو بكر الشافعي في فوائده من

حديث البراء إلى قوله كما يأكل العبد ، وبقيّة الحديث من رواية ابن سعد وأبي يعلى

بسند حسن عن عائشة رضي الله عنها مرفوعاً . وزاد الديلمي وابن أبي شيبة وابن عدي :

« وأشرب كما يشرب العبد » .

— وكذلك نومه صلى الله عليه وسلم كان نومه كان قليلاً ، شهدت بذلك الآثارُ الصحيحةُ .

ومع ذلك فقد قال صلى الله عليه وسلم :

« إِنَّ عَيْنِي تَنَامَانُ وَلَا يَنَامُ قَلْبِي » (١) .

النوم على الجانب الأيمن وحكمته — وكان نومه على جانبه الأيمن استظهاراً على قلة النوم ، لأنه على الجانب الأيسر أهناً لهدوء القلب ، وما يتعلق به من الأعضاء الباطنة حينئذ ليلها إلى الجانب الأيسر ، فيستدعي ذلك الاستثقال فيه والطول ، وإذا نام النائم على الأيمن تعلق القلب وقَلِقَ ، فأسرع الإفاقة ولم يغمُره الاستغراق .

(١) كما رواه الشيخان .

## الفصل الثامن

### زواجه صلى الله عليه وسلم وما يتعلق به

أما النكاح ، فمُتَّفَقٌ فيه شرعاً وعادةً . فإنه دليل الكمال وصحة الذكورية ، ولم يزل التفاخر بكثرته عادة معروفة ، والتمادح به سيرة ماضية .

النكاح دليل  
الكمال والصحة  
عقلاً

شرعاً

وأما في الشرع فسُنَّةٌ مأثورة .

وقد قال صلى الله عليه وسلم (١) : « تناكحوا تناسلوا ، فَإِنِّي مُبَاهٍ بِكُمْ الْأُمَمَ ، ونهى عن التَّبَتُّلِ (٢) ، مع ما فيه من قمع الشهوة ، وغضَّ البصر ، اللذين نبَّه عليهما صلى الله عليه وسلم بقوله (٣) : « من كان ذا طَوَلٍ فليتزوج ، فَإِنَّهُ أَغْضُ لِلْبَصَرِ وَأَحْصَنُ لِلْفَرْجِ » .

النهي عن التبتل

(١) كما ذكر ابن مردويه في تفسيره عن ابن عمر مرفوعاً بسند ضعيف وذكر مثله الطبراني في الأوسط .  
(٢) كما رواه الشيخان .  
(٣) كما رواه الطبراني . واخرجه الشيخان بلفظ : « من استطاع منكم الباءة فليتزوج ... » .

لا يقدح الزواج  
في الزهد

— حتى لم يره العلماء مما يقدح في الزهد .  
قال سهل بن عبد الله : قد حُبِّبْنَا إِلَى سَيِّدِ  
الْمُرْسَلِينَ فَكَيْفَ يُزَهِّدُ فِيهِمْ !!!

وقد كره غير واحدٍ أَنْ يَلْقَى اللَّهَ عَزَبًا .

اعتراض  
يعني العصور

فَإِنْ قِيلَ : كَيْفَ يَكُونُ النِّكَاحُ ، وَكَثْرَتُهُ مِنْ  
الْفَضَائِلِ ، وَهَذَا يَحْيَى بْنُ زَكَرِيَّا عَلَيْهِ  
السَّلَامُ — قَدْ أَثْنَى اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ أَنَّهُ كَانَ  
حَصُورًا فَكَيْفَ يَثْنِي اللَّهُ عَلَيْهِ بِالْعَجْزِ عَمَّا يُعَدُّ  
فَضِيلَةً .

تبتل عيسى  
عليه السلام

— وَهَذَا عَيْسَى بْنُ مَرْيَمَ — عَلَيْهِ السَّلَامُ —  
تَبَتَّلَ عَنِ النِّسَاءِ .. وَلَوْ كَانَ كَمَا قَرَّرْتَهُ لَنَكَحَ ..

جواب الاعتراض

فَاعْلَمْ : أَنَّ ثَنَاءَ اللَّهِ تَعَالَى عَلَى يَحْيَى ، بِأَنَّهُ  
حَصُورٌ ، لَيْسَ كَمَا قَالَ بَعْضُهُمْ .. إِنََّّهُ كَانَ  
هَيُوبًا (١) ، أَوْ لَا ذَكَرَ لَهُ ... بَلْ قَدْ أَنْكَرَ هَذَا  
حُذَّاقُ (٢) الْمَفْسِّرِينَ وَنُقَّادِ الْعُلَمَاءِ ، وَقَالُوا :

هَذِهِ نَقِيسَةٌ وَعَيْبٌ ، وَلَا تَلِيقُ بِالْأَنْبِيَاءِ  
عَلَيْهِمُ السَّلَامُ .

(١) هَيُوبًا : الْمُرَادُ هُنَا جِبَانًا مِنَ النِّكَاحِ .

(٢) حُذَّاقُ : جَمْعُ حَازِقٍ وَهُوَ الْمَاهِرُ .

— وإِنَّمَا مَعْنَاهُ أَنَّهُ مَعْصُومٌ مِنَ الذُّنُوبِ ،  
أَي لَا يَأْتِيهَا كَأَنَّهُ حَصْرٌ عَنْهَا ..

وقيل : مانعاً نفسه من الشهوات .

وقيل : ليست له شهوة في النساء .

— فقد بان لك من هذا ، أن عدم القدرة  
على النكاح نقصٌ .

— وإِنَّمَا الْفَضْلُ فِي كَوْنِهَا مَوْجُودَةً ثُمَّ  
قَمِيمًا ، إِمَّا بِمُجَاهِدَةٍ كَعِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ ، أَوْ  
بِكِفَايَةِ مَنْ اللَّهُ تَعَالَى كِيَحْيَى عَلَيْهِ السَّلَامُ ،  
فَضِيلَةٌ زَائِدَةٌ لِكَوْنِهَا شَاغِلَةً فِي كَثِيرٍ مِنَ  
الْأَوْقَاتِ ، حَاطَةً إِلَى الدُّنْيَا .

فضيلة زائدة

لم تشغله كثرتهن  
عن عبادة ربه  
بل زادته عبادة

— ثُمَّ هِيَ فِي حَقٍّ مِنْ أَقْدَرٍ عَلَيْهَا وَمُلْكُهَا ،  
وَقَامَ بِالْوَاجِبِ فِيهَا وَلَمْ تَشْغَلْهُ عَنْ رَبِّهِ دَرَجَةٌ  
عَلِيَاءَ ، وَهِيَ دَرَجَةُ نَبِيِّنَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ  
الَّذِي لَمْ تَشْغَلْهُ كَثْرَتُهُنَّ عَنْ عِبَادَةِ رَبِّهِ ، بَلْ  
زَادَهُ ذَلِكَ عِبَادَةً لَتَحْصِيْنَهُنَّ ، وَقِيَامَهُ بِحَقُوقِهِنَّ ،  
وَإِكْتِسَابَهُ لِهِنَّ ، وَهَدَايَتَهُ إِيَّاهُنَّ .

— بَلْ صَرَّحَ أَنَّهَا لَيْسَتْ مِنْ حَظُوظِ دُنْيَاهُ  
هُوَ . وَإِنْ كَانَتْ مِنْ حَظُوظِ دُنْيَا غَيْرِهِ .

فقال عليه الصلاة والسلام : « حُبِّبْ  
إِلَيَّ مِنْ دُنْيَاكُمْ » (١) .

جبه للنساء والطيب ليس  
لدنياه بل لآخرته  
فدل أن حبّه لما ذُكِرَ من النساء والطيب ،  
للذين هما من أمر دنيا غيره ، واستعماله  
لذلك ليس لدنياه ، بل لآخرته .

— وكان حبّه لهاتين الخصلتين لأجل غيره ،  
وقمع شهوته . وكان حبّه الحقيقي المختصّ  
بذاته في مشاهدة جبروت مولاه ومناجاته .  
ولذلك ميّز بين الحبّين ، وفصل بين الحالين .  
فقال : « وَجُعِلَتْ قُرَّةُ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ » .

— فقد ساوى يحيى وعيسى عليهما السلام  
في كفاية فتنتهن ، وزاد فضيلة بالقيام بهن .  
— وأمّا الجاه فمحمودٌ عند العقلاء عادة .  
وبقدر جاهه عظمه في القلوب .

وقد قال تعالى في صفة عيسى عليه السلام :-  
« وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ » (٢) .

(١) كما رواه الحاكم والنسائي وبقيته « النساء والطيب وَجُعِلَتْ قُرَّةُ عَيْنِي فِي  
الصَّلَاةِ » . وليس زيادة « ثلاث » في صحيح الروايات .  
(٢) سورة آل عمران : آية ٤٥ .

لكن آفاته كثيرة ، فهو مضرٌّ لبعض الناس  
لعقبى الآخرة ، فلذلك ذمّه مَنْ ذمّه ، ومدَحَ  
ضِدّه .

– وورد في الشرع (١) مدحُ الغُمُول (٢) .  
وذمُّ العُلُوِّ (٣) في الأرض .

مكانته في القلوب  
قبل النبوة

– وكان صلى الله عليه وسلم قد رُزق من  
الحشمة ، والمكانة في القلوب والعظمة قبل  
النبوة ، عند الجاهلية وبعدها ، وهم يكذبونه ،  
ويؤذون أصحابه ، ويقصدون أذاه في نفسه  
خفية ، حتى اذا واجههم أعظموا أمره ، وقضوا  
حاجته ، وأخباره في ذلك معروفة سيأتي  
بعضها . وقد كان يُبْهَت وَيَفَرَّقُ لرؤيته ، من  
لم يَرَهُ . كما روي عن قَيْلَة : أَنَّهَا لما رآته  
أُرْعِدَتْ من الفَرَق (٤) فقال : «يا مسكينة عليك  
السكينة» (٥) .

هيئته في قلوب  
الناظرين إليه

- (١) كحديث : «كم من اشعث اغبر ذي طمرين لا يؤبه له لو اقسم على الله لابره» .  
وحديث : «ان الله يعيب الاتقياء الاخفاء الذين اذا غابوا لم يفتقدوا واذا حضروا لم  
يعرفوا» . اخرج الاول الترمذي والثاني ابن ماجه .  
(٢) المقصود بالغُمُول كراهية الظهور .  
(٣) كما في الحديث : « ما ذئبان جائعان ارسلا في غنم بافسد لها من حرص المرء على  
المال والشرف . لدينه » رواه الترمذي واحمد .  
(٤) وحديثها مذكور في شمائل الترمذي وفي سنن أبي داوود . واخرجه ابن سعد  
بتمامه كما قال السيوطي .  
(٥) وهذه زيادة ابن سعد .

وفي حديث أبي مسعود رضي الله عنه :  
 « أَنْ رَجُلًا قَامَ بَيْنَ يَدَيْهِ فَأَرْعَدَ - فَقَالَ لَهُ :  
 هَوِّنْ عَلَيْكَ فَإِنِّي لَسْتُ بِمَمْلُوكٍ ... » (١)  
 الحديث (٢) .

فأما عظيمُ قدره بالنبوة ، وشريفُ منزلته  
 بالرسالة ، وإنافَةُ (٣) رُتْبَتِهِ بِالْأَصْطِفَاءِ  
 وَالْكَرَامَةِ فِي الدُّنْيَا ، فَأَمْرٌ هُوَ مَبْلَغُ النِّهَايَةِ .  
 ثُمَّ هُوَ فِي الْآخِرَةِ سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ (٤) ، وَعَلَى مَعْنَى  
 هَذَا الْفَصْلِ نَظَّمْنَا هَذَا الْقِسْمَ بِأَسْرِهِ .

(١) كما رواه البيهقي عن قيس مرسلًا . وقال: هو المحفوظ . ورواه الحاكم وصحَّحه .  
 (٢) ولم يذكره كله بطوله .  
 (٣) أي رفعة رتبته وزيادتها أو ظهورها .  
 (٤) كما في حديث البخاري .

## الفصل التاسع

### ما يتعلق بالمال والمتاع

وأما الضرب الثالث ، فهو ما تختلف الحالات في التمدح به ، والتفاخر بسببه ، والتفضيل لأجله ، ككثرة المال ، فصاحبه على الجملة معظم عند العامة لاعتقادها توصله به إلى حاجاته ، وتمكن أغراضه بسببه ، وإلا فليس فضيلة في نفسه . فمتى كان المال بهذه الصورة ، وصاحبه منفقاً له في مهماته ، ومهمات من اعتراه وأمثله ، وتصريفه في مواضعه . مشترياً به المعالي والثناء الحسن والمنزلة من القلوب ، كان فضيلة في صاحبه عند أهل الدنيا .

العامة تعظم  
صاحب المال

ليس المال  
فضيلة بنفسه  
ولكن بما يشتري  
به من المعمد

وإذا صرفه في وجوه البر ، وأنفقه في سبل الخير ، وقصد بذلك الله والدار الآخرة كان فضيلة عند الكل بكل حال .

المال بالعرض  
والبخل كالعدم

ومتى كان صاحبه متسككاً له ، غير موجه

وجوهه . حريصاً على جمعه . عادت كثرته  
كالعدم وكان منقصةً في صاحبه . ولم يقف به  
على جذر السلامة (١) . بل أوقعه في هوة (٢)  
رذيلة البخل . ومذمة الندالة .

فإذا التمدحُ بالمال وفضيلته عند مفضله  
ليست لنفسه . وإنما هو للتوصل به إلى غيره .  
وتصرفه في متصرفاته ... فجامعه إذا لم  
يضعه مواضعه . ولا وجهه وجوهه غير  
ملي (٣) بالحقيقة . ولا غني بالمعنى ولا ممدح  
عند أحد من العقلاء . بل هو فقيرٌ أبداً . وغير  
واصل إلى غرض من أغراضه . إذ ما بيده من  
المال الموصل لها لم يسلط عليه . فأشبهه  
خازن مال غيره . ولا مال له فكأنه ليس في يده  
البيغل خازن مال غيره  
منه شيء .

المنفق مليه والمنفق مليء غني بتحصيله فوائد المال .  
وإن لم يبق في يده من المال شيء .

فانظر سيرة نبينا صلى الله عليه وسلم  
من أموال الأرض وخلقه في المال تجده قد أوتي خزائن  
ما أوتيته صل الله عليه وسلم

(١) جدد السلامة : طرائق السلامة .

(٢) هوة : أي هاوية وهي ما بين الجبلين .

(٣) مليء : لقة مضطجع .

الأرض ، ومفاتيح البلاد ، وأُجِلَّتْ له الفنائم ،  
 ولم تحلَّ لنبيِّ قبله ، وفتِّحَ عليه في حياته صلى  
 الله عليه وسلَّم بلادُ الحجاز واليمن وجميع  
 جزيرة العرب ، وما داني ذلك من الشام  
 والمراق ، وجلبت إليه من أخماسها ،  
 وجزئتها ، وصدقاتها ما لا يُجْبَى للملوك إلاَّ  
 بمعْضه ، وهاذته (١) جماعةٌ من ملوك الأقاليم ،  
 فما استأثر بشيءٍ منه ولا أمسك منه درهماً .  
 بل صرفه مصارفه وأغنى به غيره ، وقوَّى به  
 المسلمين ، وقال (٢) : « ما يَسُرُّني أنَّ لي  
 أ'حداً ذهباً يبيت عندي منه دينارٌ ، إلا ديناراً  
 أرصده لذيْن (٣) » وأتته دنانيرُ مرَّةٍ فقسَّمها ،  
 وبقيت منها سِتَّةٌ ، فدفعها لبعض نسائه فلم  
 يأخذهُ نومٌ حتَّى قام وقسَّمها ، وقال : « الآن  
 استرحت » (٤) ومات ودرعُه (٥) مرهونةٌ في نفقةِ  
 عياله (٦) .

(١) هادته : أرسلت له الهدايا .

(٢) كما رواه الشيخان عنه .

(٣) وفي نسخة « لديني » .

(٤) رواه ابن سعد عن عائشة رضي الله عنها .

(٥) أي عند يهودي هو أبو الشعم .

(٦) في نفقة عياله : أي إلى سنة في ثلاثين صاعاً من شعير على ما في البخاري والترمذي  
 والنسائي . وفي البزار أربعين . وفي مصنف عبد الرزاق وسق شعير وهو ستون صاعاً .

زهده فيما سوى  
الضروري من  
نفقته وملبسه  
ومسكنه

واقترع من نفقته وملبسه ومسكنه . على  
ما تدعوه ضرورته إليه . وزهد فيما سواه  
فكان يلبس ما وجدته ، فيلبس في الغالب  
الشملة (١) والكساء الخشن ، والبرد الغليظ  
ويقسّم على من حضره أقبية الديباج (٢)  
المخوصة (٣) بالذهب ، ويرفع لمن لم يحضر .

المباهاة بالملابس  
ليست ممن  
خصال الشرف

إذ المباهة في الملابس والتزيّن بها ، ليست  
من خصال الشرف والجلالة ، وهي من سمات  
النساء .

المعمود نقاوة  
الثوب وكونه  
لبس مثله

والمعمود منها نقاوة الثوب ، والتوسط في  
جنسه . وكونه لبس مثله غير مُسقط لمروءة  
جنسه ، ممّا لا يؤدي إلى الشهرة في الطرفين .

وقد ذمّ الشرع ذلك ، وغاية الفخر فيه في  
العادة عند الناس إنّما يعود إلى الفخر بكثرة  
الموجود ، ووفور الحال .

وكذلك التباهي بجودة المسكن . وسعة  
المنزل وتكثير آلاته وخدمته ، ومركوباته . ومن  
ملك الأرض وجبى إليه مافيهها . وترك ذلك

(١) الشملة : كساء يشتمل به بأن يديره على جسده كله لا يخرج منه يده .

(٢) بكسر الدال فارسي معرب جمعه ديبايج وهو الثوب المزين .

(٣) المخوصة : المنسوجة .

زهداً وتنزهاً ، فهو حائزٌ لفضيلةِ المَالِيَّةِ ومالكٌ  
للفخرِ بهذهِ الخَصْلَةِ - إن كانت فضيلة -  
زائدٌ عليها في الفخرِ ومُعْرِقٌ في المدحِ  
بإضرابه عنها .. وزهده في فانيها وبذلها في  
مظانِّها ...

## الفصل العاشر

### الأخلاق الحميدة

وَأَمَّا الْخَصَالُ الْمَكْتَسَبَةُ مِنَ الْأَخْلَاقِ الْحَمِيدَةِ،  
وَالْأَدَابِ الشَّرِيفَةِ ، الَّتِي اتَّفَقَ جَمِيعُ الْعُقَلَاءِ  
عَلَى تَفْضِيلِ صَاحِبِهَا ، وَتَعْظِيمِ الْمُتَصِفِ بِالْخُلُقِ  
الْوَاجِدِ مِنْهَا فَضْلًا عَمَّا فَوْقَهُ ، وَأَثْنَى الشَّرْعُ  
عَلَى جَمِيعِهَا وَأَمَرَ بِهَا ، وَوَعَدَ السَّعَادَةَ الدَّائِمَةَ  
لِلْمُتَخَلِّقِ بِهَا وَوَصَفَ بَعْضَهَا بِأَنَّهُ مِنْ أَجْزَاءِ  
النُّبُوَّةِ ، وَهِيَ الْمَسَمَّاةُ بِحُسْنِ الْخُلُقِ .

الخصال التي  
اتفق العقلاء على  
مدح صاحبها

ثناء الشرع  
عليها

— وَهُوَ الْإِعْتِدَالُ فِي قَوَى النَّفْسِ ، وَأَوْصَافُهَا  
وَالْتَوْشُّطُ فِيهَا ، دُونَ الْمِيلِ إِلَى مَنْحَرِفٍ  
أَطْرَافِهَا .

تمريف حسن  
الخلق

— فَجَمِيعُهَا قَدْ كَانَتْ خُلُقَ نَبِيِّنَا صَلَّى اللَّهُ  
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى الْإِنْتِهَاءِ فِي كَمَالِهَا وَالْإِعْتِدَالِ  
إِلَى غَايَتِهَا ، حَتَّى أَثْنَى اللَّهُ عَلَيْهِ بِذَلِكَ .

فَقَالَ تَعَالَى : « وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ » (١) .

قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا : « كَانَ (٢) خُلُقُهُ الْقُرْآنَ . يَرْضَى بِرِضَاهُ . وَيَسْخَطُ بِسَخَطِهِ .

وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (٣) : « بُعِثْتُ لِأَتَمِّمَ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ » . قَالَ (٤) أَنَسُ : « كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَحْسَنَ النَّاسِ خُلُقًا » .

وَكَانَ فِيمَا ذَكَرَهُ الْمُحَقِّقُونَ مُجْبُولًا عَلَيْهَا فِي أَصْلِ خُلُقَتِهِ . وَأَوَّلَ فِطْرَتِهِ . لَمْ تَحْصُلْ لَهُ بِاِكْتِسَابٍ . وَلَا رِيَاضَةٍ . إِلَّا بِجُودِ الْإِلَهِيِّ . وَخُصُوصِيَّةِ رَبَانِيَّةٍ . وَهَكَذَا لِسَائِرِ الْأَنْبِيَاءِ .

(١) سورة القلم : آية ٤ .  
(٢) وقد سألها سعيد بن هشام . وهذا الحديث رواه بتمامه البيهقي في دلائل النبوة .  
(٣) علي ما رواه أحمد والبخاري . ورواه مالك في الموطأ بلفظ يختلف قليلا وكذلك البغوي في شرح السنة .  
(٤) علي ما رواه الشيخان .

## الفصل الحادي عشر

### العقل

العقل أما أصل فروعها ، وعُنصرُ ينابيعها ، ونقطةُ دائرتها فالعقل الذي منه ينبعث العلم والمعرفة .

فروع العقل ويتفرّع من هذا ثقبُ الرأي ، وجودة الفطنة ، والإصابة ، وصدق الظن ، والنظر للعواقب ، ومصالح النفس ، ومجاهدة الشهوة ، وحسن السياسة والتدبير ، واقتناء الفضائل ، وتجنب الرذائل .

— وقد أشرنا إلى مكانه منه صلى الله عليه وسلم ، وبلوغه منه ، ومن العلم الفاية القصوى التي لم يبلغها بشرٌ سواه .

وإذ جلالة محله من ذلك ، ومما تفرّع منه متحققة عند من تتبّع مجاري أحواله ، واطّراد سيره ، وطالع حكم حديثه ، وعلمه بما في التوراة والإنجيل ، والكتب المنزلة ، وحكم

لحُكَمَاءِ ، وسير الأُمم الخالية وأيامها ، وضرب  
لأمثال ، وسياسات الأَنام ، وتقرير الشرائع ،  
تأصيل الآداب النفسِيَّة (١) ، والشِّيم الحميدة ،  
لى فنون العلوم التي اتخذ أهلها كلامه صلى  
الله عليه وسلم فيها قدوة ، وإشاراتِه حُجَّةٌ .

كالعبارة (٢) ، والطبِّ ، والحساب ،  
الفرائض ، والنسب ، وغير ذلك مما سَنَبَّيْنَه  
بمعجزاته - إن شاء الله تعالى - دون تعليم  
ولا مُدَارَسَةٍ ، ولا مطالعة كُتُبٍ مِّنْ تَقَدَّمَ ،  
ولا الجلوسِ إلى علمائهم ، بل نبيٌّ آميٌّ لم  
يَعْرِفْ بشيءٍ مِنْ ذلك ، حتَّى شَرَحَ اللهُ صدره ،  
وأبان أمره وعلمه وأقرأه .

- يُعَلِّمُ ذلك بالمطالعة ، والبحث عن حاله ،  
ضرورة (٣) ، وبالبَـهـانِ القاطعِ على نبوَّتِه  
نظراً (٤) ... فلا نُطَوِّلُ بسردِ الأَقاصيصِ  
وأحاديِّ القضايا ، إذْ مجموعها ما لا يأخذه  
حصراً ، ولا يحيطُ به حِفْظُ جامعٍ .. وبِحَسَبِ

(١) وفي نسخة : « النفسية » وربما كانت الأولى تصحيحاً .

(٢) العبارة : تعبير الرؤيا .

(٣) أي بديهية .

(٤) أي علماً نظرياً واستدلالاً فكرياً .

بعصب عقله  
كانت معارفه  
صلى الله عليه  
وسلم

عقله كانت معارفه صلى الله عليه وسلم إلى  
سائر ما علّمه الله تعالى ، وأطلعّه عليه ، من  
علم ما يكون وما كان وعجائب قدرته وعظيم  
ملكوته . قال الله تعالى : « وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ  
تَكُن تَعْلَمُ » وكان فضل الله عليك  
عظيماً (١) .

حارت العقول في تقدير فضله ، وخرست  
الأسنن دون وصفٍ يحيط بذلك ، أو ينتهي  
إليه .

## الفصل الثاني عشر

### الحلم والاحتمال والعفو

وأما الحلم والاحتمال والعفو مع القدرة والصبر على ما يكره - وبين هذه الألقاب فرق :

الفروق بين  
هذه الألفاظ

- فإن الحلم : حالة توقُّرٍ وثباتٍ عند العلم  
الأسباب المعرَّكات .

- والاحتمال : حبس النفس عند الآلام  
والمؤذيات .

- والصبر : مثلها .  
ومعانيها متقاربة .

- وأمَّا العفو : فهو ترك المؤاخذة ...  
وهذا كله مما أدب الله تعالى به نبيُّه صلى  
الله عليه وسلم :

فقال تعالى : « خذ العفو وأمر

بِالْعُرْفِ « (١) الآية .

رُوي (٢) : أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لما نَزَلَتْ عَلَيْهِ هذه الآيةُ سَأَلَ جَبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَنْ تَأْوِيلِهَا . فَقَالَ لَهُ : حَتَّى أَسْأَلَ الْعَالِمَ ، ثُمَّ ذَهَبَ فَاتَاهُ فَقَالَ : يَا مُحَمَّدُ ، إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تَصِلَ مِنْ قَطْعِكَ ، وَتُعْطِيَ مِنْ حَرَمِكَ ، وَتَعْفُوَ عَمَّنْ ظَلَمَكَ ...

وقال له : « وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ »  
الآية (٣) .

وقال تعالى : « فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعِزِّ مِنَ الرُّسُلِ » (٤) .

وقال : « وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا » (٥)  
الآية .

وقال تعالى : « وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ » (٦) .

(١) ... وَأَعْرَضَ عَنِ الْجَاهِلِينَ « سورة الأعراف : آية ١٩٩ .

(٢) كما في تفسير ابن جرير . وابن أبي حاتم . وأبي الشيخ في مكارم الأخلاق وابن أبي الدنيا مرسلًا ووصله ابن مردويه .

(٣) ... إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ « سورة لقمان : آية ١٧ .

(٤) سورة الأحقاف : آية ٣٥ .

(٥) ... أَلَا يُعْبُونَ أَنَّ يُغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ « سورة النور : آية ٢٢ .

(٦) سورة الشورى : آية ٤٣ .

وَلَا خَفَاءَ بِمَا يُؤْتَرُ مِنْ جَلَمِهِ وَاحْتِمَالِهِ .  
وَأَنَّ كُلَّ حَلِيمٍ قَدْ عُرِفَتْ مِنْهُ زَلَّةٌ ، وَحُفِظَتْ  
عَنْهُ هَفْوَةٌ ، وَهُوَ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -  
لا يزيد مع كثرة الأذى إِلَّا صَبْرًا ، وَعَلَى  
اسْرَافِ الْجَاهِلِ إِلَّا جِلْمًا .

لا يزيد مع كثرة  
الأذى إِلَّا صَبْرًا

عن عائشة رضي الله عنها قالت (١) :  
مَا خَيْرَ رَسُولٍ اللَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي  
أَمْرَيْنِ قَطُّ ، إِلَّا اخْتَارَ أَيْسَرَهُمَا ، مَا لَمْ يَكُنْ  
إِثْمًا فَإِنْ كَانَ إِثْمًا كَانَ أَبْعَدَ النَّاسِ مِنْهُ ؛ وَمَا  
انْتَقَمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِنَفْسِهِ إِلَّا  
أَنْ تَنْتَهَكَ حَرَمَةَ اللَّهِ تَعَالَى ، فَيَنْتَقِمَ اللَّهُ بِهَا .

كان أبعد  
الناس من الإثم

وروي (٢) : أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ  
لَمَّا كَسِرَتْ رَبَاعِيَّتُهُ وَشَجَّ وَجْهُهُ يَوْمَ أُحُدٍ شَقٌّ  
ذَلِكَ عَلَى أَصْحَابِهِ شَقًّا شَدِيدًا ، وَقَالُوا : لَوْ  
دَعَوْتَ عَلَيْهِمْ :

فَقَالَ : « إِنِّي لَمْ أَبْعَثْ لَعْنَانًا ، وَلَكِنِّي  
بُعِثْتُ دَاعِيًا وَرَحْمَةً . اللَّهُمَّ اهْدِ قَوْمِي  
فَإِنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ » .

(١) كما رواه الشيخان وأبو داود أيضا عنها ... كما استند المصنف في طريق مالك في  
الموطأ .

(٢) الحديث رواه البيهقي في شعب الإيمان مرسلًا وروى آخره موصولًا وهو قوله :  
« اللهم اهْدِ قَوْمِي » في الصحيح حكاية عن نبي ضربه قومه .

ولما قال له الرجل (١) : « اعدل فإن هذه  
قسمة ما أريدُ بها وجهُ الله » لم يزد في جوابه  
أن بينَ له ما جهله ، ووعظَ نفسه ، وذكرَها  
بما قال له .

فقال (٢) : « ويحك فمن يعدل إن لم  
أعدل (٣) . خبت (٤) وخسرت إن لم أعدل » .  
ونهى من أراد من أصحابه قتلَه (٥) .

— ولما تصدى له غورث (٦) بن الحارث  
ليفتك (٧) به صلى الله عليه وسلم وهو مُنتَبِذٌ  
تحت شجرة وحده قائلاً والناس قائلون (٨) في  
غزاة (٩) فلم ينتبه رسولُ الله صلى الله عليه  
وسلم

غورث بن الحارث  
ومعاولة اغتياله  
صلى الله عليه  
وسلم

(١) المنافق وهو ذو الحويصرة حرقوس بن ذهير التميمي قتل في الغوارج يوم النهروان  
على يد علي رضي الله عنه .  
(٢) رواه مسلم عن جابر رضي الله عنهما . ونعوه في صحيح البخاري . واخرجه  
البيهقي وهو حديث صحيح . وفي الفاظه اختلاف والمال واحد .  
(٣) وفي مسلم : اولست احق اهل الأرض أن اطيع الله عز وجل ؟! وغضب صلى الله  
عليه وسلم حتى احمرت وجنتاه .  
(٤) خبت : نقلها النووي في شرح مسلم على وجهي الضم والفتح والارجح فتح التاء  
لما ورد في بعض طرق هذا الحديث من زيادة قوله صلى الله عليه وسلم ( ويخرج من  
ضنفي . هذا قوم يرمون من الدين كما يرمق السهم من الرمية ) .  
(٥) وهو عمر بن الخطاب رضي الله عنه كما في صحيح البخاري أو خالد بن الوليد أو  
كلاهما كما في مسلم .  
(٦) وردت القصة في سيرة ابن هشام برواية تختلف عن المذكورة هنا بعض الشيء .  
انظر السيرة ج ٣ ص ٢١٦ تحقيق السقا ورفاهه ووردت في بعض السير بشكل قريب من  
الوارد هنا ولكن باسم دعشور بدلا من غورث .  
(٧) علي ما رواه البيهقي .

(٨) قائلون : من القيلولة أي نائمون في النهار .  
(٩) وهي غزوة ذات الرقاع رابع سنة للهجرة .

وَسَلَّمَ إِلَّا وَهُوَ قَائِمٌ . وَالسِّيفُ صُلْتًا (١) فِي يَدِهِ .

فَقَالَ : « مِنْ يَمْنَعُكَ مِنِّي » .

فَقَالَ : « اللَّهُ » .

فَسَقَطَ السِّيفُ مِنْ يَدِهِ . فَأَخَذَهُ النَّبِيُّ صَلَّى  
لَهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَالَ : « مِنْ يَمْنَعُكَ مِنِّي » .

قَالَ : « كُنْ خَيْرَ آخِذٍ » .

خَيْرِ النَّاسِ

فَتَرَكَهُ وَعَفَا عَنْهُ .

فَجَاءَ إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ : « جِئْتُكُمْ مِنْ عِنْدِ خَيْرِ  
لِنَاسٍ (٢) » .

عَفَا عَنْهُ  
الْيَهُودِيَّةَ الَّتِي  
أَرَادَتْ قَتْلَهُ

- وَمِنْ عَظِيمِ خَبَرِهِ فِي الْعَفْوِ عَفْوُهُ عَنْ  
لِيَهُودِيَّةٍ (٣) الَّتِي سَمَّتهُ فِي الشَّاةِ بَعْدَ اعْتِرَافِهَا .  
عَلَى الصَّحِيحِ مِنَ الرِّوَايَةِ (٤) .

- وَأَنَّهُ لَمْ يُوَاخِذْ لَبِيدَ (٥) بِنِ الْأَعْصَمِ إِذْ  
سَخَّرَهُ وَقَدْ أُعْلِمَ بِهِ وَأَوْجِيَّ إِلَيْهِ بِشَرْحِ

(١) صُلْتًا : مَسْلُوكًا .

(٢) وَرَوَاهُ الشَّيْخَانُ بِدُونِ سَقُوطِ السِّيفِ . وَهُوَ صَلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . مِنْ يَمْنَعُكَ  
مِنِّي وَجَوَابُ غُورَثَ .

(٣) هِيَ زَيْنَبُ بِنْتُ الْحَارِثِ بْنِ سَلَامٍ .

(٤) عَلَى مَا رَوَاهُ الشَّيْخَانُ .

(٥) هُوَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي زُرَيْقٍ وَهُمْ بَطْنٌ مِنَ الْأَنْصَارِ ... وَفِي الصَّحِيحَيْنِ أَنَّ لَبِيدًا يَهُودِيًّا  
قِيلَ إِنَّهُ مُنَافِقٌ .

أمره (١) . ولا عتب عليه فضلاً عن معاقبته .

— وكذلك لم يؤاخذ (٢) عبد الله بن أبي  
وأشباؤه من المنافقين (٣) . بعظيم ما نُقِلَ عنه  
في جهته قولاً وفعلًا . بل قال (٤) لمن أشار بقتل  
بعضهم : « لا . لئلا يُتَحَدَّثَ أن محمداً يقتل  
صبره على  
المنافقين أصحابه (٥) » .

وعن أنس رضي الله عنه قال : كنت مع  
النبي صلى الله عليه وسلم . وعليه بُرْدٌ غليظ  
الحاشية . فجبذه أعرابيُّ بردائه جبذةً شديدة  
حتى أثَّرت حاشية البرد في صَفْحة (٦) عاتقه  
ثم قال : يا معنَّدَ احمل لي علي بعيري هذين  
من مال الله الذي عندك (٧) . فإنك لا تحمل لي  
من مالك ولا من مال أبيك . فسكت النبي  
صلى الله عليه وسلم ثم قال : « المالُ مالُ الله .  
وأنا عبده » .

(١) رَوَاهُ أَحْمَدُ وَالنَّسَائِيُّ وَالْبَيْهَقِيُّ فِي دَلَالَتِهِ .

(٢) عَلَى مَا رَوَاهُ الشَّيْخَانُ .

(٣) قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : كَانَ الْمُنَافِقُونَ مِنَ الرِّجَالِ ثَلَاثَةً وَمِنَ النِّسَاءِ مِثْلُهُ وَسَبْعِينَ .

(٤) عَلَى الْمُرْسِيْعِ مَا لَبِنِي الْمِصْطَلِقُ .

(٥) وَهَذَا الْعَدِيثُ رَوَاهُ الشَّيْخَانُ . وَرَوَى الطَّبْرَانِيُّ : عَرَضَ وَلَدُ عَبْدِ اللَّهِ عَلَى الرَّسُولِ

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِقَتْلِ أَبِيهِ وَمَنْعِهِ الرَّسُولَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ ذَلِكَ .

(٦) الصَّفْحة : الْجَانِبُ أَوْ الْعَرَضُ . وَالْعَاتِقُ : مَا بَيْنَ الْعُنُقِ وَالْكَتِفِ .

(٧) إِلَى هُنَا رَوَاهُ الشَّيْخَانُ وَأَخْرَجَهُ بَلْفُظِ الْمُسَنِّدِ الْبَيْهَقِيِّ فِي الْأَدَبِ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ  
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

ثم قال : « ويقاد منك يا أعرابي ما فعلت بي » .

قال : لا . قال : « لم » قال : لأنك لا تكافئ بالسيئة السيئة .

فضحك النبي صلى الله عليه وسلم . ثم أمر أن يُحمل له على بعير شعير وعلى الآخر تمر .

كان لا ينتصر  
لنفسه بل لله  
عز وجل

قالت عائشة رضي الله عنها : ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم منتصراً من مظلمة ظلمها قط ، مالم تكن جرمة من معارم الله . وما ضرب بيده شيئاً قط إلا أن يجاهد في سبيل الله . وما ضرب خادماً ولا امرأة (١) .

— وجيء إليه برجل (٢) . فقيل : هذا أراد أن يقتلك فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : « لن تُراع (٣) » . لن تُراع ولو أردت ذلك لم تُسلط عليّ » .

وجاءه (٤) زيد (٥) بن سَعْنَةَ قبل إسلامه

حلمه مع من  
أراد قتله

(١) رواه الشيخان .

(٢) هذا الحديث أخرجه أحمد والطبراني بسند صحيح ولم يسميا الرجل .

(٣) بضم التاء أي لن تفزع عكروه .

(٤) وهو حديث طويل رواه البيهقي مفصلاً عن ابن سلام ووصله ابن حبان .

والطبراني . وأبو نعيم عن عبد الله بن سلام أيضاً وسنده صحيح كما قاله السيوطي .

(٥) وهو حبر من أخبار اليهود وفي التهذيب : هو صحابي من أخبار اليهود الذين

أسلموا وهو من أكثرهم مالاً وعلماً . حسن إسلامه وشهد المشاهد وتوفي مرجعه صلى الله عليه وسلم من تبوك .

يتقاضاه دَيْنًا عليه فجبذ ثوبه من منكبه وأخذ  
بمجامع ثيابه وأغلظَ له ثم قال :

— إِنَّكُمْ يَا بَنِي عَبْدِ الْمَطْلَبِ مُطْلَلٌ (١)

فانتهره عمر . وشَدَّدَ له في القول والنبيُّ صلى

الله عليه وسلَّم يبتسم . فقال رسول الله صلى

الله عليه وسلم : « أنا ، وهو كنا إلى غير هذا حلمه على من  
أغلظَ له بالقول

منك أحوج يا عمر . تأمرني بحسن القضاء

وتأمره بحسن التقاضي . »

ثم قال : « لقد بقي من أَجَلِهِ ثلاث . »

وأمر عمر يقضيه ماله . ويزيده عشرين

صاعاً لما رَوَّعَهُ .

— فكان سبب إسلامه وذلك أنه كان يقول :

« ما بقي من علامات النبوة شيء إلا وقد

عرفتها في وجه محمد إلا اثنتين لم أخبرهما :

— يسبق حلمه جهله .

— ولا تزیده شدة الجهل إلا حلماً فاخبرته

بهذا فوجدته كما وصف ...

من علامات نبوته  
صلى الله عليه  
وسلم أنه يسبق  
حلمه غضبه  
وأنه لا تزیده  
شدة الجهل إلا  
حلماً

والحديث عن حلمه صلى الله عليه وسلم

(١) بضم الميم والطاء جمع ماطل كقادر وغندر

وصبره وعفوه عند المقدرة أكثر من أن تأتي عليه . وحسبك ما ذكرناه مما في الصحيح والمصنفات الثابتة . الى ما بلغ متواتراً مبلغ اليقين من صبره على مقاساة قريش وأذى الجاهلية ومصابرة الشدائد الصعبة معهم إلى أن أظفروه الله عليهم وحكمهم فيهم وهم لا يشكون في استئصال شأفتهم (١) وإبادة خضرائهم (٢) فما زاد على أن عفا وصفح :

وقال : « ما تقولون أنني فاعل بكم » ؟

قالوا : خيراً .. أخُ كريم . وابنُ أخٍ كريم .

موقفه من قريش  
بعد أن أمكنه  
الله منهم

فقال (٣) : ( أقول كما قال أخي يوسف : « لا تَثْرِيْبُ (٤) عَلَيْكُمْ » ) (٥) الآية .  
« اذهبوا فأنتم الطلقاء » .

وقال أنس (٦) رضي الله عنه : هبط ثمانون

(١) الشافة : في الأصل فرحة تخرج للانسان في أسفل القدم فتكوى فتذهب فهم يقولون في المثل ( استاصل الله شافته ) أي أنهبه كما أنهبها .

(٢) خضرائهم : جمعهم وسوادهم .

(٣) قال ذلك يوم فتح مكة أخذاً بمعضدتي باب الكعبة على ما روى ابن سعد والنسائي وابن زنجويه .

(٤) التثريب : التعمير والتوبيخ أي لا أوبخكم .

(٥) « ... اليوم يَغْفِرُ الله لكم وهو أرحم الراحمين » سورة يوسف : آية ٩٢ .

(٦) كما رواه مسلم وأبو داود والترمذي والنسائي .

رجلاً من التنعيم (١) صلاة الصبح ليقتلوا  
رسول الله صلى الله عليه وسلم . فأخذوا  
فأعتقهم رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فأنزل الله تعالى : « وَهُوَ الَّذِي كَفَّ  
أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ » (٢) الآية .

وقال لأبي سفيان وقد سيق إليه بعد أن  
جلب إليه الأحزاب وقتل عنه وأصحابه .  
ومثل بهم فعفا عنه ولاطفه في القول : « ويحك  
يا أبا سفيان !! ألم يئن لك أن تعلم أن  
لا إله إلا الله » !؟

فقال : بأبي أنت وأمي ما أحلمك وأوصلك  
وأكرمك (٣) .

— وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم  
أبعد الناس غضباً ، وأسرعهم رضى صلى الله  
عليه وسلم .

(١) أقرب أطراف مكة إليها على بعد ثلاثة أو أربعة أميال منها على طريق المدينة  
والشام سميت بذلك لانه يقربها جبل يسمى « تنعيم » على يمينها وعلى شمالها آخر  
يسمى « ناعم » والوادي « نعمان »  
(٢) ... وأيديكم عنهم ينظرون مكة من بعد أن أظفركم عليهم « سورة الفتح : آية ٢٤ .  
(٣) والحديث بكامله مذكور في السير وقد أخرجه الطبراني والبيهقي عن ابن عباس  
بسند صحيح .

## الفصل الثالث عشر

### الجود والكرم

وأما الجودُ والكرمُ والسَّخَاءُ والسَّامِحَةُ  
ومعانيها متقاربةٌ وقد فَرَّقَ بعضُهم بينها  
بفروق فجعلوا الكرم : الإنفاق بطيب نفس  
فيما يعظمُ خطَرُه ونفعُه وسمَّوه أيضاً جرأة  
وهو ضد النَّدَالَةِ .

— والسَّامِحَةُ : التجافي عما يستحقُّه المرءُ  
عند غيره بطيب نفسٍ وهو ضدُّ الشُّكَّاسَةِ (١) .  
— والسَّخَاءُ : سهولة الإنفاق وتجنُّب  
الاستسَابِ ما لا يُحمد وهو ضدُّ التَّقْتِيرِ .

فكان صلى الله عليه وسلم لا يُوازى في هذه  
الأخلاق ولا يُبارى (٢) .

بهذا وصفه كل من عرفه .

(١) الشُّكَّاسَةُ : سوء الخلق .

(٢) فاق النبيين في خلق وفي خلق \* ولم يدانوه في علم ولا كرم

عن ابن المنكدر (١) قال : سمعت جابر بن  
 ما سئل عن عبد الله يقول (٢) : « ما سئل رسول الله صلى  
 عليه وسلم شيئاً فقال لا » .

وعن أنس (٣) وسهل بن سعد رضي الله  
 عنهما مثله .

وقال (٤) ابن عباس رضي الله عنهما : كان  
 النبي صلى الله عليه وسلم أجود الناس بالخير  
 وأجود ما كان في شهر رمضان وكان إذا لقي  
 جبريل عليه السلام أجود بالخير من الريح المرسلة  
 كان أجود  
 الناس وأجود  
 ما يكون في  
 رمضان

وعن أنس (٥) رضي الله عنه : أن رجلاً (٦)  
 سأله فأعطاه غنماً بين جبلين ، فرجع إلى قومه  
 وقال : أسلموا فإن محمداً يعطي عطاء من  
 لا يخشى فاقة .  
 يعطي عطاء  
 من لا يخشى  
 فاقة

— وأعطى غير واحد (٧) مائة من الإبل .

- 
- (١) أخرجه مسلم والبخاري والترمذي في الشمائل وهو حديث صحيح .  
 (٢) رواه البخاري في الأدب ومسلم في فضائله صلى الله عليه وسلم والترمذي في  
 شمائله .  
 (٣) أخرجه حديث أنس مسلم .  
 (٤) كما روي عنه الشيخان .  
 (٥) كما رواه مسلم .  
 (٦) هو صفوان بن أمية الجمعي القرشي .  
 (٧) كابي سفيان وابنيه معاوية ويزيد ومع كل مائة مائة مائة . وكحكيم بن حزام والحارث  
 ابن هشام .

— وأعطى (١) صفوان مئةً ثم مئةً ثم مئةً .

وهذه كانت خلقه صلى الله عليه وسلم  
قبل أن يُبعث .

وقد قال له ورقة بن نوفل : إِنَّكَ تحمل  
الكلَّ (٢) . وتكسبُ المدوم .

— وردَّ على هوازن (٣) سباياها وكانت ستَّة  
آلاف .

— وأعطى العباس من الذهب ما لم يُطَقِّ  
حملة (٤) .

— وحُمِلَ (٥) إليه تسعون ألفَ درهم  
فوضعت على حصير ثم قام إليها فقسَّمها .  
فما ردَّ سائلاً حتَّى فرغ منها .

(١) كما رواه مسلم . وصفوان بن أمية الجمعي القرشي كنيته أبو وهب أسلم يوم  
الفتح شهد حنيناً والطائف وهو مشرك فلما أعطاه النبي صلى الله عليه وسلم ما أعطاه  
قال : أشهد بالله ما طابت بهذا إلا نفسٌ نبي لأسلم . روى له أصحاب الكتب الستة  
توفي في خلافة سيدنا معاوية بكة سنة ٤٢ هـ .

(٢) هذا بعض حديث صحيح رواه الشيخان .

(٣) قبيلة تسكن منطقة حنين .

(٤) كما رواه البخاري عن أنس تعليقاً .

(٥) على ما رواه أبو العسن بن الضحاك في شمائله عن العسن مرسلاً .

الغاية في  
السقاء

— وجاءه (١) رجل فسأله فقال : « ما عندي شيء ، ولكن ابتع علي ، فإذا جاءنا شيء قضيناه . »

فقال له عمر رضي الله عنه : ما كلفك الله ما لا تقدر عليه فكره النبي صلى الله عليه وسلم ذلك ، فقال رجل (٢) من الأنصار : يا رسول الله أنفق ولا تخش من ذي العرش إقلالا .

فتبسم النبي صلى الله عليه وسلم وعرف البشر في وجهه (٣) وقال : « بهذا أمرت » .

ذكره (٤) الترمذي وذكر (٥) عن معوذ بن عفراء رضي الله عنه قال : أتيت النبي صلى الله عليه وسلم بقناع من رطب — يريد طبقاً — وأجر (٦) زغب (٧) — يريد قثاء — فأعطاني ملء كفه حلياً (٨) وذهباً .

(١) كما رواه الترمذي في شمائله .

(٢) هو بلال ولكنه من المهاجرين وقد يجمع بينهما فلا له .

(٣) رواه إذا ما جنته متهللاً ، كانت تعطيه الذي أنت سائله .

(٤) في كتاب الشمائل .

(٥) ذكره الترمذي في شمائله أيضاً وأخرجه الطبراني وأحمد عن الربيع بنت معوذ وسنده حسن .

(٦) بفتح همزة وسكون جيم وكسر راء منونة جمع جرر مثلث الجيم والكسر أشهر كدلو وأدل .

(٧) جمع أزغب كاصفر وصفر والمعنى القثاء الصغيرة وهذا وصف للقثاء بالفضاضة واللطافة إذ القثاء اللطاف لا تغلو عن شيء يكون عليه شبه الزغب .

(٨) بفتح فسكون والجمع حليّ بضمّتين كضرب وضروب . ثم كسرت اللام لتصح

الياء . فصارت ( حلي ) . ( ٧٤ )

قال (١) أنس رضي الله عنه : كان رسولُ  
الله صلى الله عليه وسلم لا يدَّخر شيئاً لعدوِّ  
الله عليه وسلم .  
- والخبرُ بجوده صلى الله عليه وسلم وكرمه  
كثير .

## الفصل الرابع عشر

### الشجاعة والنجدة

وأما الشجاعة والنجدة .

تعريف الشجاعة — فالشجاعة : فضيلة قوة الفضب  
وانقيادها للعقل .

النجدة — والنجدة : ثقة النفس عند استرسالها  
إلى الموت ، حيث يحمد فعلها دون خوف .

وكان صلى الله عليه وسلم بالمكان الذي  
لا يُجْهَل ، وقد حضر المواقف الصعبة وفرَّ  
الْكُماةُ (١) والأبطالُ عنه غيرَ مرَّةٍ ، وهو ثابت  
لا يَبْرَحُ ، ومقبِلٌ لا يُدْبِرُ ولا يتزحزحُ .  
وما شجاع إلا وقد أُحصيت له فرَّةٌ وحُفظت  
عنه جولة (٢) سواء .

عن أبي إسحق : سمع البراءَ وسأله رجل :  
شجاعته يوم أُقررتُم يوم حنين عن رسول الله صلى الله عليه  
وسلم ؟

(١) الكُماة : جمع كمي وهو الشجاع الكمي في سلاحه والساتر لنفسه بدرعه .  
(٢) اسم مرة من الجولات في المكان فالجولة هنا تعني الفرار .

قال : لكن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يفتر (١) .

ثم قال : لقد رأيتُه على بقلته البيضاء وأبو سفيان أخذٌ بلجامها ، والنبيُّ صلى الله عليه وسلم يقول : « أنا النبيُّ لا كذب » .  
وزاد غيره (٢) : « أنا ابنُ عبدِ المطلب » .  
قيل : فما رؤيَ يومئذٍ أحدٌ كان أشدَّ منه .  
وقال غيره : نزل النبي صلى الله عليه وسلم عن بقلته .

وذكر مسلم عن العباس رضي الله عنهما قال : فلما التقى المسلمون والكُفَّار ولَّى المسلمون مدبرين فطفق رسول الله صلى الله عليه وسلم يُركِضُ بقلته نحو الكفار وأنا أخذ بلجامها . أكفها إرادة أن لا تسرع .  
وأبو سفيان أخذ بركابه ثم نادى :  
« يا للمسلمين » (٣) الحديث .

(١) هذا الحديث أخرجه البخاري في الجهاد ومسلم في المغازي والنسائي في السير .

(٢) غير البراء .

(٣) بفتح اللام الأولى لدخولها على المستغاث به فإن دخلت على المستغاث له كسرت نحو بالله للمسلمين وهذا بعض من حديث صحيح في شمائل الترمذي .

وقيل (١) : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا غضب - ولا يَغضب إلا لله - لم يَغضب شيئا .

وقال (٢) ابن عمر رضي الله عنهما : ما رأيت أشجعَ ولا أنجدَ ولا أجودَ ولا أَرْضى من رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقال (٣) علي رضي الله عنه : إنا كنا إذا حمي البأس - ويروى اشتد البأس - واحمرَّت الحَدَق ، اتَّقينا برسول الله صلى الله عليه وسلم فما يكون أحدٌ أقربَ إلى العدوِّ منه .

يعني الشجعان  
به عند اشتداد  
العرب

ولقد رأيتني يوم بدر ونحن نلوذ بالنبِيِّ صلى الله عليه وسلم وهو أقربنا إلى العدو . وكان من أشدَّ الناس يومئذ بأساً .

وقيل (٤) : كان الشُّجاع هو الذي يقرب منه صلى الله عليه وسلم إذا دنا العدو لقربه منه .

(١) كما في حديث ابن أبي هالة .

(٢) كما رواه الدارمي من حديث صحيح مسند .

(٣) كما رواه أحمد والنسائي والطبراني والبيهقي وأخرج مسلم بعضه .

(٤) تعبير المصنف بقليل ليس في محله لإيهامه ضعف الغير والغير من كلام البراء بن عازب رضي الله عنه رواه عنه مسلم في صحيحه .

وعن (١) أنس رضي الله عنه : كان النبي صلى الله عليه وسلم أحسنَ الناس وأجودَ الناس وأشجعَ الناس .

كان أول  
مستبرئ للخبر  
عند الفزع

لقد فزع أهل المدينة ليلة ، فانطلق ناس قبِلَ الصَّوت فتلقاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم راجعاً ، وقد سبقهم إلى الصوت ، وقد استبرأ الخبر على فرس لأبي طلحة عُرِّي والسيف في عنقه وهو يقول : « لَنْ تُرَاعُوا » .

كان أول من  
يُضْرَبُ عند  
الهجوم

وقال عمران بن حصين (٢) : ما لقي رسول الله صلى الله عليه وسلم كتيبة إلا كان أول من يضرب .

— ولما رآه (٣) أبي بن خلف يوم أحد وهو يقول : أين محمد ؟ لا نجوتُ إن نجا وقد كان يقول للنَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم حين افتدي يوم بدر : عندي فرس أعلفها كل يوم فَرَقاً (٤) من ذرة أقتلك عليها :

فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : « أنا

(١) كما في حديث الشيخين .

(٢) كما رواه أبو الشيخ في الأخلاق .

(٣) ما رواه ابن سعد والبيهقي وعبد الرزاق مرسلاً والوالثني موصلاً .

(٤) مكيال معروف بالمدينة وهو ستة عشر رطلا .

قتل النبي ﷺ بن أقتلك إن شاء الله ، فلما رآه يوم أحد شد خلف يوم أحد  
 أبي على فرسه على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعترضه رجال من المسلمين فقال  
 النبي صلى الله عليه وسلم : « هكذا » أي خلوا طريقه ، وتناول الحربة من الحارث بن النعمان  
 فانتفض بها انتفاضة تطايروا عنه تطاير  
 الشعراء (١) عن ظهر البعير اذا انتفض ، ثم  
 استقبله النبي صلى الله عليه وسلم فطعنه في  
 عنقه طعنة تداداً (٢) منها عن فرسه مراراً .  
 وقيل : بل كسر ضلماً من أضلاعه .

فرجع الى قريش يقول : قتلني محمد .

وهم يقولون : لا بأس عليك .

فقال : لو كان ما بي بجميع الناس لقتلهم .

أليس قد قال : « أنا أقتلك » !! والله لو بصق

نمر الناس من قتله نبي عليّ لقتلني .

فمات بسرف (٣) في قفولهم إلى مكة .

(١) الشعراء : بفتح الشين ذباب احمر او ازرق يقع على الحيوان فيؤذيه .

(٢) تداداً : تدرج .

(٣) سرف : مكان على بعد ستة اميال من مكة كان فيه زواج ميمونة زوج النبي صلى الله عليه وسلم في صرة القضاء .

## الفصل الخامس عشر

### الحياء' والإغضاء

وأما الحياء' والإغضاء :

تعريف الحياء - فالحياء' : رقة تعتري وجه الإنسان عند فعل ما يُتوقع كراهيته' . او ما يكون تركه خيراً من فعله .

- والإغضاء : التغافل عما يكره الإنسان' الإغضاء بطبيعته .

- وكان النبي صلى الله عليه وسلم أشد الناس حياء' ، وأكثرهم عن العورات إغضاءً .

قال الله تعالى : « إِنَّ ذَلِكَ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَعْجِلُ مِنْكُمْ » (١) الآية .

(١) ... والله لا يستعجلني من العَقِّ سورة الاحزاب : آية ٥٣ . وسبب نزولها أن النبي صلى الله عليه وسلم لما بنى بزينب بنت جعش أولم بشاة وتمر وسويق وأمر أنسا بدعوة الصعابة فدعاهم فعملوا ببعينون وياكلون ويخرجون ويحيء آخرون الى أن بقي ثلاثة نفر فاطالوا المكث يتعدنون فتأذى رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك وكان شديد الحياء فنزلت الآية في حقهم .

عن أبي (١) سعيد الخدري رضي الله عنه :  
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أشدَّ  
حياءً من العذراء في خيْذرها . وكان إذا كره  
شيئاً عرفناه في وجهه .

وكان النبي صلى الله عليه وسلم لطيف  
البشرة رقيق الظاهر لا يشافيه أحدٌ بما  
يكرهه حياءً وكرم نفس .

وعن (٢) عائشة رضي الله عنها : كان  
النبي صلى الله عليه وسلم إذا بلغه عن أحد  
ما يكرهه لم يقل : ما بال فلان يقول كذا  
ولكن يقول : « ما بال أقوام يصنعون أو  
يقولون كذا » ينهي عنه ولا يُسمي فاعله .

وروى (٣) أنس رضي الله عنه : أنه دخل  
عليه رجل به أثر صُفرة (٤) فلم يقل له  
شيئاً - وكان لا يواجهه أحدٌ بما يكره - فلما  
خرج . قال : « لو قلتُ له يفسل هذا »  
ويروى ينزعها .

(١) كما رواه الشيخان والترمذي وابن ماجه .

(٢) رواه أبو داود في سننه مستنداً .

(٣) كما رواه أبو داود .

(٤) يعني أن الرجل كان خضب فبقي عليه بقية من الغضب .

قالت (١) عائشة رضي الله عنها في الصحيح :  
 لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم فحاشاً ،  
 ولا متفحشاً . ولا صخباً في الأسواق ولا  
 يجزي بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويصفح .

وقد حكى مثل هذا الكلام عن التوراة  
 من رواية ابن سلام وعبد الله بن عمرو بن  
 العاص .  
 وصفه بذلك  
 في التوراة

وروي عنه (٢) : أنه كان من حيائه  
 لا يثبت بصره في وجه أحد وأنه كان  
 يكتني عما اضطره الكلام إليه مما  
 يكره (٣) .

وعن (٤) عائشة رضي الله عنها : ما رأيت  
 فرج رسول الله صلى الله عليه وسلم قط ...

(١) كما رواه الترمذي .  
 (٢) أي عن النبي صلى الله عليه وسلم كما في الإحياء لكن لم يعرف العراقي وروده في  
 الأنبياء .  
 (٣) قال السيوطي : حديث أنه كان يكتني عما اضطره الكلام إليه معلوم من أحواله  
 وأقواله في الأحاديث المشهورة .  
 (٤) رواه الترمذي في الثعالب .

## الفصل السادس عشر

### حُسنُ العِشرةِ والأدبِ وبسطِ الخلقِ

وأما حُسنُ عِشرَتِهِ وأدبِهِ وبِسطُ خُلُقِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مع أصنافِ الخَلْقِ فَبِعيثُ انتشرت به الأخبارُ الصَّحيحةُ .

قال (١) علي رضي الله عنه في وصفه عليه وصف علمي له الصلاة والسلام : « كَانَ أَوْسَعَ النَّاسِ صَدْرًا ، وَأَصْدَقَ النَّاسِ لَهْجَةً ، وَأَلْيَنَهُمْ عَرِيكَةً (٢) وَأَكْرَمَهُمْ عِشْرَةً .

عن قيس بن سعد رضي الله عنه قال : « زارنَا رسولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وذكر قصة في آخرها - فلما أراد الانصراف قَرَّبَ له سعدٌ حماراً ، وطأ عليه بِقُطَيْفَةٍ فركب رسولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثُمَّ قال سعد : يا قيسُ اصحب رسولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

(١) في الحديث الصحيح الذي رواه الترمذي في شُعَائِهِ .  
(٢) عَرِيكة : طَيِّعة .

قال قيس : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اركب » فأبیت فقال : إِمَّا أَنْ تَرْكَبَ وَإِمَّا أَنْ تَنْصَرِفَ » فانصرفت (١) .

وفي رواية أخرى : « اركب أمامي فصاحب الدابة أولى بمقدميها » .

— وكان (٢) رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤلفهم ولا ينفرهم ويكرم كريم كل قوم ويؤليه عليهم ويحذر الناس ويحترس منهم من غير أن يطوي على أحد منهم بشره ولا خلقه يتمهد أصحابه ويعطي كل جلسائه نصيبه ولا يحسب جلسيه أن أحدا أكرم عليه منه .

لا يطوي عن  
أحد بشره

— من جالسه أو قاربته حاجة صابره حتى يكون هو المنصرف عنه .

— ومن سأله حاجة لم يردئه إلا بها أو بميسور من القول . وقد وسع الناس بسطه وخلقه فصار لهم أباً وصاروا عنده في الحق سواء . بهذا وصفه ابن أبي هالة

(١) الحديث رواه أبو داود في الآداب والنسائي في اليوم والليلة .

(٢) كما في شعائل الترمذي من حديث هند بن أبي هالة .

قال : كان دائم البشر ، سهل الخلق وصف ابن أبي هالة له صل الله عليه وسلم  
ليِّنَ الجَانِبِ ، ليس بفظٍ ولا غليظٍ و  
صَغَابٍ ولا فحَّاشٍ ، ولا عَيَّابٍ ، ولا مَدَّاحٍ  
يتغافلُ عمَّا لا يشتهي ولا يؤيسرُ منه .

وقال الله تعالى : « فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ ، وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ » (١) وقال تعالى  
« ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ » (٢) الآية .

يقبل الهدية  
مهما حقرت  
ويكافي عليها  
وصف الغمام  
أنس لبيده  
- وكان (٣) يجيبُ من دعاه ، ويقبَلُ (٤)  
الهدية ولو كانت كُرَاعًا (٥) ويكافيُ عليها

قال (٦) أنس رضي الله عنه : خدمت  
رسول الله صلى الله عليه وسلم عشرَ سنين (٧)  
فما قال لي : « أَفٍ » قَطُّ ، وما قال لشي  
صنعتُه : لِمَ صَنَعْتَهُ : ؟ ولا لشيء تَرَكْتُهُ  
لِمَ تَرَكْتَهُ ؟ !

- (١) سورة آل عمران : آية ١٥٩ .  
(٢) « ... فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ »  
سورة فصلت : آية ٣٤ .  
(٣) علي ما رواه ابن سعد مرسلًا .  
(٤) علي ما رواه البخاري .  
(٥) الكراع : بالضم في البفر والغنم وهو مستلق الساق .  
(٦) رواه الشيخان .  
(٧) وفي رواية لمسلم تسع سنين .

وعن (١) عائشة رضي الله عنها : ما كان أحدٌ أحسنَ خلقاً من رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، ما دعاه أحدٌ من أصحابه ولا أهل بيته إلا قال : « لبيك » .

وقال (٢) جرير بن عبد الله رضي الله عنه : ما حَجَبَنِي رسولُ الله صلى الله عليه وسلم قطُّ منذُ اسَلَمْتُ ، ولا رَأَيْتُني إلا تَبَسُّمٌ .

— وكان يَمَازِحُ (٣) أصحابه ، ويخالِطُهُمْ ويحادثُهُمْ ويداعِبُ صِبْيَانَهُمْ وَيُجَلِّسُهُمْ فِي حِجْرِهِ وَيَجِيبُ دَعْوَةَ الْحُرِّ وَالْعَبْدِ (٤) وَالْأُمَةِ وَالْمَسْكِينِ وَيَعُودُ الْمَرَضَى فِي أَقْصَى الْمَدِينَةِ وَيَقْبَلُ عُذْرَ الْمُعْتَذِرِ (٥) .

قال (٦) أنس رضي الله عنه : ما التَقَمَ أَحَدٌ أُذُنَ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم

اهتمامه بأمور  
الناس

- 
- (١) كما رواه أبو نعيم في دلائل النبوة بسندٍ واهٍ .  
(٢) رواه الشيخان .  
(٣) كما رواه الترمذي في باب مزاحه صلى الله تعالى عليه وسلم .  
(٤) كان يجيب دعوة العبد . أخرجه البيهقي عن جابر والترمذي وابن ماجه عن أنس رضي الله عنهما .  
(٥) هذا من المعلوم والصحيح في قصة المتخلفين عن غزوة تبوك .  
(٦) رواه أبو داود والترمذي والبيهقي عنه . والبيهقي عن أبي هريرة وابن عمر رضي الله عنهما .

فَيُنْعَتِي رَأْسَهُ . حَتَّى يَكُونَ الرَّجُلُ هُوَ  
الَّذِي يُنْعَتِي رَأْسَهُ . وَمَا أَخَذَ أَحَدٌ بِيَدِ  
فَيْرَسِيلٍ يَدَهُ حَتَّى يُرْسِلَهَا الْآخِذُ . وَلَمْ  
يُرْ مَقْدَمًا رُكْبَتَيْهِ بَيْنَ يَدَيْ جَلِيسٍ لَهُ .

وكان (١) يبدأ من لقيه بالسَّلام ويبدأ  
أصحابه بالمصافحة . ولم ير (٢) قطُّ مَادًّا  
رجليه بين أصعابه حَتَّى يُضَيِّقَ بهما على  
أَحَدٍ . يُكْرِمُ من يدخل عليه ورَبُّمَا بَسْطَ  
لَهُ ثَوْبَهُ وَيُوَثِّرُهُ بِالْوَسَادَةِ الَّتِي تَحْتَهُ .  
وَيَقْزِمُ عَلَيْهِ فِي الْجُلُوسِ عَلَيْهَا إِنْ أَبَى  
وَيَكْنِي أَصْعَابَهُ وَيَدْعُوهُمْ بِأَحَبِّ أَسْمَائِهِمْ  
تَكْرِيمًا لَهُمْ . وَلَا يَقْطَعُ عَلَى أَحَدٍ حَدِيثَهُ  
حَتَّى يَتَجَوَّزَ فَيَقْطَعَهُ بِنَهْيٍ أَوْ قِيَامٍ - وَيُرْوَى  
بِانْتِهَاءٍ أَوْ قِيَامٍ - . . وَرَوَى (٣) أَنَّهُ كَانَ  
لَا يَجْلِسُ إِلَيْهِ أَحَدٌ وَهُوَ يُصَلِّي إِلَّا خَفَّفَ  
صَلَاتَهُ وَسَأَلَهُ عَنْ حَاجَتِهِ . فَإِذَا فَرَغَ  
عَادَ إِلَى صَلَاتِهِ .

إكرام الناس  
بأخلاق وبشاشة

(١) على ما في حديث ابن أبي هالة وأخرج أبو داود عن أبي ذر مثله .

(٢) كما رَوَاهُ الدَّارِمِيُّ فِي غَرِيبِ مَالِكٍ وَضَعَفَهُ .

(٣) لم يجد له العراقي أصلاً . وفي الصحيح : إني لأقوم إلى الصلاة أريد أن أطول فيها فأسمع بكاء الصبي فأتجوّز في صلاتي كراهة أن أشق عليه . فلو أوردته المصنف لكان أظهر .

وكان أكثر الناس تَبَتُّسُماً وأطْيَبَهم نفساً ، مالم يُنْزَلْ عليه قرآنٌ " أو يَعِظُ أو يَخْطُبُ .

وقال (١) عبدُ الله بنُ الحارث : ما رأيتُ أحداً أكثرَ تَبَتُّساً من رسولِ الله صلى الله عليه وسلم .

وعن (٢) أنس رضي الله عنه : كان خَدَمُ المدينة يأتون بالماء ليشربوا ، إذا صلى الغداةَ بَأْنِيَتِهِمْ فيها الماءُ ، فما يُؤْتَى بِأْنِيَةٍ إِلَّا غَمَسَ يَدَهُ فيها ، وربُّما كان ذلك في الغداةِ الباردة يريدون (٣) به التَّبَرُّكَ .

(١) على ما رواه أحمدُ والترمذي بسندٍ حسنٍ في المتألف من الجامع وهو في السمائل أيضاً .

(٢) رواه مسلم .

(٣) لعل زيادة . يريدون به التبرك . من زيادة المصنف لأن البقوي رحمه الله تعالى رواه في مصابحه بدون هذه الزيادة .

## الفصل السابع عشر

### الشفقة والرحمة

وأما الشفقة والرافة والرحمة لجميع  
الخلق فقد قال الله تعالى فيه : « عزيز » عليك  
ما عنيتم حريص » عليكم بالمؤمنين رؤوف  
رحيم » (١) .

وقال تعالى : « وما أرسلناك إلا رحمة  
للمالين » (٢) .

قال بعضهم : من فضله صلى الله عليه  
اعطاه الله وسلم أن الله أعطاه اسمين من أسمائه . فقال :  
اسمين من « بالمؤمنين رؤوف » رحيم .  
اسمائه

وحكى نحوه الإمام أبو بكر بن قنبر .

عن ابن شهاب قال : غزا رسول الله صلى

(١) سورة يونس : آية ١٢٨ .

(٢) سورة الانبياء : آية ١٥٧ .

لله عليه وسلم غزوة ، وذكر حُنيناً قال :  
أعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم صفوان  
بن أمية مئة من النعم ثم مئة ثم مئة .

قال ابن شهاب : حدثنا سعيد بن  
المسيب أن صفوان قال : والله لقد أعطاني  
ما أعطاني وإنه لأبغض إليّ فما زال  
مطيني حتى إنّه لأحبّ الخلق إليّ .

— ومن شَفَقته على أمته صلى الله عليه  
سلم تخفيفه وتسهيله وكراهته أشياء  
خافة أن تُفرضَ عليهم .

كقوله (١) عليه الصلاة والسلام : « لولا  
أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسّواك مع كل  
وضوء » (٢) .

— وخبر صلاة الليل (٣) ونهيهم عن  
الإصّال (٤) وكراهته دخول الكعبة (٥) لئلا

(١) كما رواه الشيخان .  
(٢) وفي مسلم عند كل صلاة وهذا الحديث رواه أصحاب الكتب الستة .  
(٣) لعله أراد خبر الشيخين في قيام الليل : خذوا من العمل ما تطيقون . إذا نَعَسَ  
أحدكم وهو يصلي فليرقد حتى يذهب عنه النوم فإن أحدكم إذا صلى وهو ناعس لا يدري  
لعله يريد يستغفر الله فيسب نفسه . أو ما رويّه من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص  
حيث قال : وأما أنا فارقد وأقوم وأصلي .. ومنعه عن قيام الليل .  
(٤) كما رواه الشيخان .  
(٥) رواه أبو داود والترمذي وصححه .

تَتَعَنَّتْ أُمَّتُهُ وَرَغْبَتُهُ لِرَبِّهِ أَنْ يَجْعَلَ سَبْ  
وَلَعْنَهُ لَهُمْ رَحْمَةً بِهِمْ ، وَأَنْتَ (١) كَانَ يَسْمَعُ  
بِكَاءِ الصَّبِيِّ فَيَتَجَوَّزُ فِي صَلَاتِهِ .

وَمَنْ شَفَقْتَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَدَّ  
دُعَا رَبِّهِ وَعَاهَدَهُ فَقَالَ : « أَيُّمَا رَجُلٍ  
سَبَبْتُهُ أَوْ لَعَنْتُهُ ، فَاجْعَلْ ذَلِكَ لَهُ زَكَا  
وَرَحْمَةً ، وَصَلَاةً وَطَهُورًا ، وَقُرْبَةً تُقَرِّبُ  
بِهَا إِلَيْكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ » (٢) .

— وَلَمَّا كَذَبَهُ (٣) قَوْمُهُ أَتَاهُ جَبْرِيلُ عَلَيْهِ  
السَّلَامُ فَقَالَ لَهُ : إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ سَمِعَ قَوْلَ  
قَوْمِكَ لَكَ وَمَا رَدُّوا عَلَيْكَ ، وَقَدْ أَمَرَ مَلَكُ  
الْجِبَالِ لِتَأْمُرَهُ بِمَا شِئْتَ فِيهِمْ ، فَنَادَاهُ مَلَكُ  
الْجِبَالِ ، وَسَلَّمَ عَلَيْهِ وَقَالَ : مُرْنِي بِمَا  
شِئْتَ ، إِنْ شِئْتَ أَنْ أَطْبِقَ عَلَيْهِمُ الْأَخْشَبِينَ .  
قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « بَلْ أَرْجُو  
أَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ مِنْ أَصْلَابِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ  
وَحْدَهُ وَلَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا » .

شَفَقْتَهُ عَلَى  
الْكُفَّارِ وَطَمَنَهُ  
فِي مَا يَمْنَانُ  
لِذُرِّيَّاتِهِمْ

(١) رَوَاهُ الشَّيْخَانُ عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

(٢) رَوَاهُ الشَّيْخَانُ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ وَرَوَى هَذَا الْعَدِيثَ مِنْ طَرَفٍ  
أُخَرٍ .

(٣) رَوَاهُ الشَّيْخَانُ وَأَصْحَابُ الْكُتُبِ السِّتَةِ .

وروى (١) ابنُ المنكدر : أن جبريل عليه  
لسلام قال للنبي صلى الله عليه وسلم : إن  
الله تعالى أمر السماء والأرض والجبال أن  
تطيعك فقال : « أؤخرُ عن أمتي لعل الله  
تعالى أن يتوب عليهم » .

قالت (٢) عائشة رضي الله عنها : ما خيّر  
رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أمرين إلا  
اختار أيسرهما .

قال (٣) ابن مسعود رضي الله عنه : كان  
رسول الله صلى الله عليه وسلم يتخولنا  
بالموعظة مخافة السامة علينا .

وعن (٤) عائشة رضي الله عنها : أنها  
ركبت بعيراً وفيه صُعوبة فجعلت تُردّده (٥)  
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « عليك  
بالرفق » .

(١) الحديث مرسل . إلا أنه مما لا يقال بالراي . فيكون له حكم الموصول . ولا سيما  
بعضه الحديث السابق في الصحيحين .

(٢) الحديث مر الكلام عليه .

(٣) فيما رواه التسيخان .

(٤) هذا الحديث أخرجه البيهقي في سننه عن المقدم عن أبيه عن عائشة رضي الله  
عنها وبعضه في مسلم .

(٥) أي تروضه .

## الفصل الثامن عشر

### الوفاء وحسن العهد وصلة الرّحم

وَأَمَّا خُلُقُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْوَفَاءِ وَحُسْنِ الْعَهْدِ وَصِلَةِ الرَّحْمِ : فَعَنْ (١) عَبْدِ اللَّهِ بْنِ (٢) الْحَمَّسَاءِ قَالَ : بَايَعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَبَيْعٍ ، قَبْلَ أَنْ يُبْعَثَ ، وَبَقِيتُ لَهُ بَقِيَّةً " ، فَوَعَدْتُهُ أَنْ أَتِيَهُ بِهَا فِي مَكَانِهِ فَنَسِيتُ ، ثُمَّ ذَكَرْتُ بَعْدَ ثَلَاثَ ، فَجِئْتُ ، فَإِذَا هُوَ فِي مَكَانِهِ ، فَقَالَ : « يَا فَتَى لَقَدْ شَقَقْتَ عَلَيَّ ، أَنَا هُنَا مُنْذُ ثَلَاثَ أَنْتَظِرُكَ » .

وَعَنْ (٣) أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ « كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا أَتَى بِهَدِيَّةٍ ، قَالَ : اذْهَبُوا بِهَا إِلَى بَيْتِ فُلَانَةٍ ، فَإِنَّهَا كَانَتْ

(١) هذا الحديث رواه أبو داود وهو من أفرادهِ ، وأُخرجهُ أيضاً ابنُ مَنَّةَ في المعرفة والفرانجي في مكارم الأخلاق .

(٢) العامري الصعابي وقد قيل : إِنَّهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي الْجَدْعَاءِ التميمي ويقال الكنانم الذي ذكره البخاري في الصعابه .

(٣) كما رواه البخاري في الأدب المفرد .

صَدِيقَةٌ لَخَدِيجَةٍ . إِنَّهَا كَانَتْ تَحُبُّ خَدِيجَةَ .

وعن (١) عائشة رضي الله عنها : قالت :  
 مَا غِرْتُ عَلَى امْرَأَةٍ مَا غِرْتُ عَلَى خَدِيجَةَ  
 مِمَّا كُنْتُ أَسْمَعُهُ يَذْكُرُهَا . وَإِنْ كَانَ  
 يَتَذَبَّحُ الشَّاةُ فِيْهَدِيْهَا إِلَى خِلَائِلِهَا .  
 - وَاسْتَأْذَنْتَ عَلَيْهِ اخْتِهَا (٢) فَارْتَا ح  
 لِيْهَا (٣) .

- وَدَخَلْتَ عَلَيْهِ امْرَأَةً " فَهَشَّرَ لَهَا .  
 وَأَحْسَنَ السُّؤَالَ عَنْهَا فَلَمَّا خَرَجْتَ ، قَالَ :  
 « إِنَّهَا كَانَتْ تَأْتِينَا أَيَّامَ خَدِيجَةَ . وَإِنْ  
 حُسِّنَ الْعَهْدُ مِنَ الْإِيمَانِ (٤) » . وَوَصَفَهُ  
 بَعْضُهُمْ فَقَالَ : كَانَ يَصِلُ ذَوِي رَحِمِهِ . مِنْ  
 غَيْرِ أَنْ يُؤْثِرَهُمْ عَلَى مَنْ هُوَ أَفْضَلُ مِنْهُمْ .

حسن العهد  
من الإيمان

وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « إِنَّ آلَ بَنِي  
 فُلَانٍ (٥) لَيْسُوا لِي بِأَوْلِيَاءَ (٦) غَيْرَ أَنَّ لَهُمْ

صلته الرحم  
ان لهم رحمة

- 
- (١) كما في الصحيحين .  
 (٢) وهي الصغاية هالة بنت خويلد بن أسد أم أبي العاص بن الربيع . زوج زينب  
 بنته صلى الله عليه وسلم .  
 (٣) وهذا الحديث في البخاري .  
 (٤) رَوَاهُ الْعَاكِمُ فِي مُسْتَدْرَكِهِ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهَا مَرْفُوعًا .  
 (٥) أَيُّ أَبُو الْعَاكِمِ بْنِ أُمَيَّةَ بْنِ عَبْدِ شَمْسٍ بْنِ عَبْدِ مَنَافٍ .  
 (٦) أَيُّ لَا أَتَوَلَّاهُمْ وَلَا أَحْسِبُهُمْ أَوْلِيَاءِي لَمَّا عَلِمْتُ مِنْهُمْ وَالْمَرَادُ بِذَلِكَ الْقَدْحُ .

رَحِمًا سَأْبَلْتُهَا بِبِلَالِهَا (١) .

- وقد (٢) صَلَّى عَلَيْهِ الصَّلَاةَ وَالسَّلَامَ  
بِأَمَامَةِ (٣) ابْنَةِ ابْنَتِهِ زَيْنَبَ يَعْمَلُهَا عَلِي  
عَاتِقَهُ . فَإِذَا سَجَدَ وَضَعَهَا . وَإِذَا قَامَ  
حَمَلَهَا .

وعن (٤) أَبِي قَتَادَةَ : وَفَدَّ وَفَدَّ لِلنَّبَاشِي  
فَقَامَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَخْدُمُهُمْ فَقَالَ  
لَهُ أَصْحَابُهُ : نَكْفِيكَ .

حسن مقابلة  
للإحسان

فَقَالَ : « إِنَّهُمْ كَانُوا لِأَصْحَابِنَا مُكْرَمِينَ .  
وَإِنِّي أَكْفِيئُهُمْ » .

- وَلَمَّا جِيءَ بِأَخْتِهِ مِنَ الرِّضَاعَةِ .  
الشَّيْمَاءُ فِي سَبَايَا هُوزَانَ . وَتَعَرَّفَتْ لَهُ .  
بَسَطَ لَهَا رِدَاءَهُ . وَقَالَ لَهَا : إِنَّ أَحْبَبْتَ  
أَقَمْتُ عِنْدِي مُكْرَمَةً مُحَبَّةً . أَوْ مَتَّعْتُكَ  
وَرَجَعْتُ إِلَى قَوْمِكَ « فَاخْتَارَتْ قَوْمَهَا  
فَمَتَّعَهَا » (٥) .

(١) رَوَاهُ الشَّيْخَانُ .

(٢) رَوَاهُ الشَّيْخَانُ .

(٣) وَهِيَ بِنْتُ أَبِي الْعَاصِ بْنِ الرَّبِيعِ وَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَعْجَبُهَا وَتَزَوَّجَهَا عَلِي  
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بَعْدَ فَاطِمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ثُمَّ تَزَوَّجَهَا بَعْدَهُ الْمُغِيرَةُ بْنُ نُوَّالٍ فَمَاتَتْ عَنْهُ .

(٤) كَمَا رَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ .

(٥) الْعَدِيثُ رَوَاهُ ابْنُ أَبِي شَقْرٍ وَابْنُ أَبِي شَقْرٍ . وَمَعْنَى لَمَتَّعَهَا : أَنِّي فَزَوَّجْتُهَا وَأَعْطَايَا أَشْيَاءَ  
تَتَمَتَّعُ بِهَا فَحَقِيلٌ أَعْطَايَا غُلَامًا وَجَارِيَةً .

وقال (١) أبو الطُّفَيْل (٢) : رأيت النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (٣) ، وأنا غلامٌ ، إذ أقبلت امرأةٌ حتَّى دنت منه ، فبسطَ لها يدهُ فمضت رداءه فجلست عليه فقلت : من هذه ؟ قالوا : أمُّه التي أرضعته .

وفي حديث خديجةَ (٤) رضيَ اللهَ عنها : أنَّها قالت له صلى الله عليه وسلم : أبشِر . فوالله لا يُخزِيكَ اللهُ أبداً ، إنَّكَ لتَصِلُ الرَّحِيمَ ، وتَحْمِلُ الكَلَّ (٥) وتَكْسِبُ المَدُومَ وتَقْرِي الضَّيْفَ . وتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ .

(١) رواه أبو داود بسند حسن .

(٢) هو عامر بن وائلة .

(٣) وكان بالجعرانة يقسم لعماً .

(٤) كما رواه الشيخان .

(٥) الكَلَّ : ثقل العمل . العاجز عن عمله .

## الفصل التاسع عشر

### التواضع

كان أشد الناس تواضعاً . وأما تواضعه صلى الله عليه وسلم على علو مناصبه ورفعة رتبته . فكان أشد الناس تواضعاً وأعدمهم كبراً .

اختار أن يكون نبياً عبداً - وحسبك أنه (١) خير بين أن يكون نبياً ملكاً أو نبياً عبداً ، فاختار أن يكون نبياً عبداً ، فقال له إسماعيل عند ذلك : فإن الله قد أعطاك بما تواضعت له أنك سيد ولد آدم يوم القيامة (٢) ، وأول من تنشق الأرض عنه ، وأول شافع .

وعن (٣) أبي أمية قال : خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم متوكئاً

(١) رواه أحمد والبيهقي .

(٢) رواه أبو نعيم في العلبة عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه .

(٣) هذا الحديث رواه أبو داود وابن ماجه مسنداً والأقرب أن يعمل هذا النهي على التنزيه . والحكمة منه أن النبي صلى الله عليه وسلم خشي أن يتغذوه سنتة ثابتة وكأز لا يحب التشبه بأهل الضلالة .

لا تقوموا كما  
يقوم الأعاجم

على عصا ، فقمنا له . فقال : « لا تقوموا  
كما يقوم الأعاجم » يعظم بعضهم  
بعضاً .

انما أنا عبد

وقال : « إنما أنا عبد » . أكل كما  
يأكل العبد ، وأجلس كما يجلس العبد .  
— وكان صلى الله عليه وسلم يركب  
الهمار ، ويردف خلفه ، ويعود المساكين ،  
ويجالس الفقراء ويحب دعوة العبد .  
ويجلس بين أصحابه مختلطاً بهم . حيثما  
انتهى به المجلس (١) جلس .

وفي حديث (٢) عمر رضي الله عنه . عن  
النبي صلى الله عليه وسلم : « لا تطروني  
كما أطرت النصارى ابن مريم . إنما أنا  
عبد » فقولوا : عبد الله ورسوله .

وعن (٣) أنس رضي الله عنه : أن امرأة  
كان في عقلها شيء " جاءته . فقالت : إن لي  
إليك حاجة ، قال : اجلسي يا أم فلان . في

(١) كما في حديث هند بن أبي هالة .

(٢) على ما روي البخاري .

(٣) رواه مسلم .

أي طُرق المدينة شئتِ أجلس إليك حتى  
أقضي حاجتك .

قال : فجلست . فجلس النبي صلى الله  
عليه وسلم إليها حتى فرغت من حاجتها .

يركب العمار قال (١) أنس " رضي الله عنه : كان رسول  
الله صلى الله عليه وسلم يركب' العمار ،  
ويجيب' دعوة العبد .

- وكان يوم بني قريظة على حمار  
مخطوم (٢) بحبل من ليفٍ عليه إكاف (٣) قال :  
كان يدعى إلى خبز الشعير والإهالة (٤)  
السنيخة (٥) فيجيب .

قال (٦) وحجَّ النبي صلى الله عليه وسلم  
على رجلٍ رثٍ ، وعليه قطيفة " ما تُساوي  
أربعة دراهم . فقال : « اللهم اجعله حَبًّا  
مبروراً ، لا رياءَ فيه ولا سُمعةً » .

حج عليه الصلاة  
والسلام على رجل  
رث

(١) رواه أبو داود والبيهقي .

(٢) مخطوم : أي في رأسه خُطام وهو الزمام .

(٣) إكاف : بردعة .

(٤) الإهالة : بكسر الهمزة وتضعيف الهاء كل ما يؤتلم به من إدم . وقيل : الشعير  
والإلية المذابة .

(٥) السنيخة : بفتح فسكون أي متفجرة الرائحة .

(٦) أي أنس .

- هذا ، وقد فُتِحَتْ عليه الأرض ،  
وأهدى (١) في حَبِّهِ ذَلِكَ مِئَّةَ بَدَنَةٍ .

تواضعه عند  
الفتح

ولمَّا (٢) فُتِحَتْ عليه مَكَّةُ ، ودخلها  
بجيش طَائِفٍ عَلَى رِجْلِهِ رَأْسَهُ حَتَّى كَادَ  
يَمَسُّ قَادِمَتَهُ تَوَاضَعًا لِلَّهِ تَعَالَى .

قيامه صل الله  
عليه وسلم  
بأعمال البيت

وعن (٣) عائشة والحسن وأبي سعيد وغيرهم  
رضي الله عنهم : في صفته .. وبعضهم يزيد  
على بعض : كَانَ فِي بَيْتِهِ فِي مَهْنَةِ أَهْلِهِ ، يَفْلِي  
ثَوْبَهُ ، وَيَعْلَبُ شَاتَاهُ ، وَيَرْقَعُ ثَوْبَهُ ،  
وَيَخْصِفُ نَعْلَهُ ، وَيَخْدُمُ نَفْسَهُ ، وَيَقْمُ الْبَيْتَ ،  
وَيَمْقِلُ الْبَمِيرَ وَيَعْلِفُ نَاضِحَهُ وَيَأْكُلُ مَعَ  
الْحَادِمِ ، وَيَمَجِّنُ مَعَهَا وَيَحْمِلُ بِضَاعَتَهُ مِنَ  
السُّوقِ .

وعن (٤) أنس رضي الله عنه : ان كانت  
الأمّة من إمام أهل المدينة لتأخذ بيد رسول  
الله صلى الله عليه وسلم فتنتلق به حيث  
شاءت حتّى تقضي حاجتها .

(١) كما رواه مسلم عنه .

(٢) رواه ابن اسحق والبيهقي عن عائشة رضي الله عنها . والعاكم والبيهقي وأبو يعلى  
عن أنس رضي الله عنه .

(٣) رواه البخاري وغيره .

(٤) رواه البخاري في الألب تعليقا ووصله ابن ماجه .

## الفصل العشرون

### العدل' والأمانة' والعفة' وصدق' اللهجة

وَأَمَّا عَدْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَمَانَتُهُ،  
وَعَفَّتُهُ وَصَدَقَ لَهْجَتِهِ ، فَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ  
وَسَلَّمَ أَمَنَ النَّاسِ ، وَأَعْدَلَ النَّاسِ ، وَأَعَفَّ  
النَّاسِ ، وَأَصْدَقَهُمْ لَهْجَةً مَنْذُ كَانَ ، اعْتَرَفَ  
لَهُ بِذَلِكَ مُحَادُّوهُ (١) وَعِيدَاهُ .

— وَكَانَ يُسَمَّى قَبْلَ 'نَبُوتِهِ' «الْأَمِين» .  
قال (٢) ابْنُ إِسْحَاقَ : كَانَ يُسَمَّى الْأَمِينُ ،  
بِمَا جَمَعَ اللَّهُ فِيهِ مِنَ الْأَخْلَاقِ الصَّالِحَةِ .  
وقال تعالى : « مُطَاعٌ ثَمَّ أَمِينٌ » (٣) .  
أَكْثَرُ الْمُفَسِّرِينَ : عَلَى أَنَّهُ مُحَمَّدٌ  
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

(١) مُحَادُّوهُ : مُخَالَفُوهُ .  
(٢) رَوَاهُ أَحْمَدُ فِي مُسْنَدِهِ وَالْعَاكِمُ وَالطَّبْرَانِيُّ عَنْ عَلِيِّ بْنِ رِضَى اللَّهِ عَنْهُ .  
(٣) سُورَةُ التَّكْوِينِ : آيَةُ ٢١ .

— ولمّا (١) اختلفت قريش " وتحازبت (٢)  
عند بناء الكعبة فيمن يضع الحجر ، حكّموا  
أول داخل عليهم . فإذا بالنبي صلى الله عليه  
وسلّم داخل وذلك قبل نبوته فقالوا : هذا  
محمّد . هذا الأمين . قد رضينا به .

وقال صلى الله عليه وسلّم (٣) : « والله إنّي  
لأمينٌ في السماء . أمينٌ في الأرض » .

وعن (٤) عليّ رضي الله عنه : أنّ أبا جهل  
قال للنبيّ صلّى الله عليه وسلّم : إنّنا  
لا نكذبك . ولكن نكذب بما جئت به . فأنزل  
الله تعالى : « فإنّهم لا يكذبونك » (٥)  
الآية .

وقيل (٦) : إنّ الأخنسر بن شريق لقي  
أبا جهل يوم بدر فقال له : يا أبا الحكم :  
ليس هناك غيري وغيرك يسمع كلامنا .  
تخبرني عن محمّد . صادق هو أم كاذب ؟

(١) رواه أحمد والحاكم وصححه الطبراني وابن ماجة وابن راهويه وابن أبي أمامة .  
(٢) أي صارت أحزاباً وهرقا .  
(٣) رواه ابن أبي شيبة في مسنده عن أبي رافع .  
(٤) رواه الترمذي .  
(٥) « ... ولكن الظالمين يأتون الله يعصون » سورة الانعام : آية ٢٣ .  
(٦) أخرجه ابن اسعق والبيهقي عن الزهري . وكذا ابن جرير عن السدي .  
والطبراني في الاوسط .





بلغوا حاجة من لا يستطيع بالخاصة على العامة . ويقول (١) : « أبلغوا ابلاغاً حاجة من لا يستطيع إبلاغاً ، فإنه من أبلغ حاجة من لا يستطيع إبلاغها آمنه الله يوم الفزع الأكبر » .

وعن (٢) الحسن كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يأخذ أحداً بِقَرْفٍ (٣) أحد ، ولا يُصَدِّقُ أحداً على أحدٍ .

---

(١) رواه الطبراني في الكبير بسند حسن عن أبي الدرداء ولفظه : ثبت الله قدميه على الصراط المستقيم يوم القيامة . وكذا لفظ الترمذي في الشمايل برواية الحسن عن أخيه الحسين بن علي رضي الله تعالى عنهم  
(٢) رواه أبو داود في مراسيله .  
(٣) بَقَرْفٍ : بذنب .











































































